مجلة شهرية
عدد: 103 Issue No:
آذار 2016 Macrh

نـــــور يسوع المسيح المســـيـــح
ΦΩΣ الله مالك XPIΣTOY
جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

انتصار الإيمان والعقيدة الأرثوذكسيّة

إعادة تكريم الأيقونات المقدسة في المجمع المسكوني السابع

إنّنا اذ نحن حافظون
التقليدات الكنائسيّة الابوية
نُصَوِّر أيقونات المسيح وقديسيه
ونصافحهم بالفم والقلب والارادة
هاتفين:
باركوا يا جميع اعمال الربّ للربّ

في أحد الأرثوذكسيّة وهو الأحد الأوّل من الصوم نصنع تذكار تعليق الأيقونات المقدسة الجليلة الذي حصل
مِن مَلِكَيْ القسطنطينية الدائمي الذكر ميخائيل الثالث وأمّه ثاودوره، على عهد البطريرك مثوديوس القديس المعترف

Z' Οικουμενική Σύνοδος - Άγιον Όρος, Μεγίστη Λαύρα المجمع المسكوني السابع , دير ميچيستي لافرا ، جبل آثوس ـ اليونان

محتويات العدد

بلد الأنوار	2
كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث	3
سنكسار مَرْفَعِ اللحم عن الدينونة والمُجازاةِ	4
في الصوم والإحسانِ للقديس غريغوريوس پالاماس	6
عن حراسة الأفكار للقديس باسيليوس الكبير	9
تذكار الشهداء الـ ٤٢ من عمورية – آسيا الصغرى	10
الصلاة للقديس پرقيريوس	11
القديس نكتاريوس العجائبي	12
سنكسار السبت من السَّبَّةِ الأولى من الصوم الكبير	13
الثواب والعقاب عند آباء الكنيسة	14
تسليم الحياة للمسيح للأب متى المسكين	16
مختارات للقديس أنطونيوس	20
الأرثوذكسيّة قانون إيمان لكل العصور	22
العظات الثماني عشرة للقديس كيرللس الأورشليمي	23
العهد القديم ... (٨٧)	الغلاف الأخير

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:

12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

بَلَدُ ٱلْأَنْوَارِ

إذا ظَهرتْ أمام شخصٍ ما فرصَةُ عَمَلٍ بإحدى البلاد خارج موطنه، نجده يهتم بكل ما يتصل بهذا البلد الذي سيسافر إليه. فيسأل عنه ليعرف ما هو ..؟ وما فيه ..؟ وعادات شعبه وتقاليده، ويحاول الاتصال بمن يعرف عن هذا البلد أيّ شيء، ويحاول أن يتعلَّم لغته، ويشتاق إلى الوقوف على كُلّ التفاصيل الخاصة به.

وإذا كَلَّمَهُ أحدٌ عن هذا البلد ، ينصت إليه بشَغَفٍ إلى المعرفة، بأعصابٍ مشدودة وعينين شاخِصَتَيْنِ، وأُذُنَيْنِ مُرْهَفَتَيْنِ، وفكرٍ حاضر.

ذٰلك لأنّه راغبٌ أن يتلقَّى كلّ معرفة، وكلّ علمٍ عن هذا البلد الذي سيرتبط مصيره به فترة حياته. ويَسعى بكل جهده لاستخراجِ إذن دخول هذا البلد بأقصَى سرعة. فكم يليق بالإنسان أن يتحرّق شوقًا ولهفًا نحو حياته الأبديّة التي لا نهاية لها. فيما وراء حدود حياته الدنيا.

كَم يليقُ به أن تغمره رغبة عارمة، ليعرف أخبار هٰذا **الوطن السماوي** الذي سَيُسافر إليه بعد حين.

يقول **الشيخ الروحاني**:

{لا دخول إلى ذٰلك البلد .. **بلد الأنوار** .. وعالم أبد الآبدين. لمن لم يختبره منذ الآن}

ويقول أيضًا: {طوبى لمن ٱصطبغت نفسه بحلاوة إلٰهه .. طوبَى لمن ٱنكَشَف له **بلد رحيله**، والتهب شوقًا إليه .. طوبَى لمن يعرف **بلد المعرفة** .. طوبَى لمن يحصل على **إذنِ للدخولِ** من الآن إلى ذٰلك البلد ويجعل من الذين هناك رفاقًا له}.

أخي الحبيب:

إنَّ المسيحي الحقيقيّ يحمل داخله السّماء، ينطلق بكل كيانه وقدراته ومواهبه مع كل نسمة من نسمات حياته نحو السّماء. إنَّ غاية رحلة حياتنا على الأرض هي أن تلتهب قلوبنا بٱلشّوق إلى السّماء فيما وراء الزمن، فهي آفاق الأبديّة السعيدة لنكون مع الله.

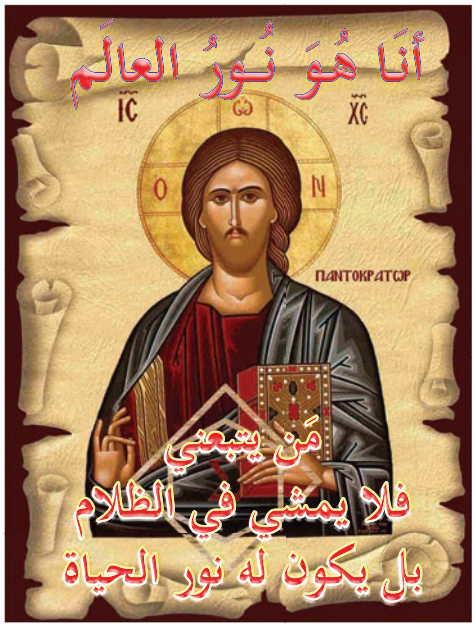

إن كان الشباب ٱليوم يُقبل على الهجرة، لِمَا يُبهِر عقله من خيرات أرضية وقتية، ويُضَحِّي أيامًا بغير حساب ليستعدّ ليوم الهجرة بفرح. فكم يكون يوم ٱلهجرة إلى السّماء، لِمَا فيها من الخيرات العتيدة. والأفراح التي لا تنتهي والأمجاد التي لا تضمحل. إنه يوم فرح حقيقي، تستعد له كل نفس أحبَّت المسيح، واشتاقت أن تنطلق لتتقابل معه.

عزيزي:

وأنتَ مُتَّجه إلى بلد الأنوار في رحلة العودة إلى الله، لا تنبهر **بأنوار العالم**. بل ثَبِّت نظرك دائمًا على **أنوار السّماء**. فٱلمجوس وهُم في طريقهم إلى الربّ يسوع في بيت لحم، بَهَرتهم أنوار أورشليم، فٱتّجه ٱلمجوس إليها ليبحثوا عن المولود الإلٰهي.

لا تنبهر بأنوار العالم ومباهج الدنيا الباطلة، لئلا تحجب عنك **نور المسيح**. لا تُبعِد نظرك عن **نجم ٱلمشرق**. بل ثَبِّت نظرك دائمًا إلى السّماء منطلقًا إليها لِتَلْقَى الله.

أَنَا هُوَ ٱلْبَابُ. إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصْ وَيَدْخُلْ وَيَخْرُجْ وَيَجِدْ مَرْعًى. (يو ١٠: ٩)

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم
كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث
بمناسبة تذكار الشهداء الأربعين في مدينة سبسطية

«لقد أهملتم ٱلجندية ٱلعالمية بتاتًا. وٱلتصقتم بٱلسيّد ٱلذي في السماوات. يا مجاهدي ٱلرب ٱلمغبوطين ٱلأربعين. فإنكم جزتم في ٱلنار وٱلماء. فنلتم ٱلمجد ووفرة ٱلأكاليل من ٱلسماء عن ٱستحقاقٍ».

هذا ما يقوله مرنم الكنيسة.

أيُّها ٱلأخوةُ ٱلأَحباء. أَيُّها ٱلمؤمنون، وٱلزوّار ٱلحسنو ٱلعبادة.:

لقد جَمَعْتَنا اليوم في كنيسة القيامة المجيدة، الذكرى الجليلةُ للقديسين الأربعين شهيدًا، حيثُ تمّمنا سرّ الشكر العظيم، القداس الإلهي، ورفعنا تمجيد شكرٍ، مجّدنا من خلاله الإله الثالوثي الأقانيم على ما وهبنا نحن، باسم ابنه الحبيب ربنا يسوع المسيح، هؤلاء المجاهدين الشهداء العِظام، الذين استشهدوا في مدينة سبسطيه.

يقول **القديس بولس الرسول في رسالته الثانية إلى تموثاوس:** « فلا تستحِ بشهادة ربنا الذي، بدماء ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، أبطل الموت، وأنار الحياة وعدم الفساد بالإنجيل» (٢تيمو ١ : ٨-١٠) «الذي أصبحت أنا مشاركًا في آلامه».

مشاركًا لصليب آلام ربنا يسوع المسيح، ومشتركًا في الشهادة مع المغبوطين الأربعين شهيدًا. كان بينهم القديس الشهيد ثيوفيلوس الذي لمع بينهم، هذا القديس الذي استحققنا لقبه وخدمته، «**أي المحبوب من الله**»، فقد شرفني الله بهذا اللقب، وأهّلني لدخول حياة أخوية القبر المقدس ورهبنته.

ولأجل هذا نكرم اليوم مبتهجين لعيد اسمنا الجليل، مع إخوتي أخوية القبر المقدس الأجِلّاء الجزيلي الاحترام، وكافة أبنائنا المسيحيين الأتقياء.

إن ما تعانيه اليوم المسكونة ومنطقتنا في الشرق الأوسط من تجارب قاسية، ومن حروبٍ ومن آلات سفك للدماء، يبتدعها **رئيس هذا الدهر أي الشيطان**. تجعلنا نجدُ اليوم في هذه الذكرى

غبطة البطريرك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث

المقدسة التي **للقديس المجيد ثيوفيلوس**، وباقي الأربعين شهيدًا المستشهدين معه دعوة إلى اليقظة والحذر بحسب القديس بولس الرسول « اسهروا، واثبتوا على الإيمان، كونوا رجالًا، تشدّدوا. ولتكن أموركم كلها بالمحبة» (١كور ١٦ : ١٣-١٤).

كما يقول **القديس باسيليوس الكبير** في مديح القديسين الأربعين شهيدًا: « لم يكن لهؤلاء الشهداء وطنٌ واحدٌ بل كلٌّ منهم قد نشأ في بلدة ما... ولكن ما بالنا نبحث عن أوطانهم على الأرض، ولا نفكر أن مدينتهم الحالية هي مدينة الشهداء، مدينة الله والله هو صانعها ومبدعها... إن نسبهم البشري مختلف، وأما نسبهم الروحي فهو واحد. فإنّ لهم أبًا واحدًا هو الله وجميعهم إخوة لم يلدهم رجل وامرأة، بل وُلِدُوا بتبني الروح القدس، وألَّفَتْ بينهم وَحْدَةُ المحبة المتبادلة».

إن القديس الشهيد ثيوفيلوس مع الشهداء المستشهدين معه، يتضرعون مع سيدتنا والدة الإله الدائمة البتولية مريم قائلين مع المرنم : «لقد هتف داود في المزامير هتافًا نبويًا يقول: «قد جزنا في النار والماء فأخرجتنا إلى الراحة». فأنتم يا شهداء المسيح الأربعين المجاهدين حقًا، قد أتممتم القول بالفعل. فجزتم النار والماء ودخلتم ملكوت السماوات. فتشفعوا الآن طالبين إلى الله أن نُمنح عظيم الرحمة.

وعليه أتضرع ختامًا إلى ربنا وإلهنا بشفاعات القديسين الأربعين شهيدًا، وبشفاعات القديس ثيوفيلوس المستشهد معهم، أن يمنح مكرميه القوة والرفعة والاستنارة الإلهية. آمين.

وكلّ عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

سنكسار

مرفع اللحم والمجيء الثاني المخوف

هذا المثَل قد وضعه الآباء الإلٰهيون بعد المثَلَين السابقين حتى إذا رأى الإنسان تعطُّف الله الوارد بهما، لا يجيز حياته بكسلٍ قائلًا ان الله عطوفٌ ومحبٌّ للبشر، وعندما أرجع عن الخطيئة، يمكنني أن أصنع كل شيءٍ بسهولة. فرتَّبوا هذا اليوم الرهيب هٰهنا لكي بواسطة **ذكر الموت، وتوقُّع النوائب العتيدة** يُرهِبوا أولئك الراسخين في الإهمال والتواني، ويُنهِضوهم إلى الفضيلة، وألَّا يثقوا بتعطُّف الله فقط، بل ينظروا دائمًا بأن الله ديَّانٌ مُقسط، ويجازي كل أحد نظير أعماله. وعلى الأخصّ لمّا تقدَّمت بالأمس- (السبت قبل مرفع اللحم حيث نكمّل فيه تذكار الراقدين منذ الدهر من آبائنا واخوتنا المسيحيين الأرثوذكسيين)- النفوس فوجب أن يوافي القاضي. فكأنَّ هذا العيد الحاضر قد وُضع هٰهنا لنهاية جميع الأعياد. وسيكون أيضًا غاية جميع أمورنا. ويجب أن نتأمل أن في الأحد المقبل سيضعون تذكار بدءِ العالم، مع سقوط آدم من الفردوس. وأمَّا هذا فنهايتنا كلنا وانقضاء العالم. وعلى ما يبدو لي أنهم وضعوا **ذكر الدينونة في مرفع اللحم**، ليسكِّنوا التنعُّم والتلذُّذ والنهم بخوف التذكار الوارد في العيد، ويدعونا إلى الإشفاق على القريب. وأيضًا بحيث لمّا تنعَّمنا نُفينا من فردوس عدن. وصرنا تحت اللعنة والدينونة. فلهٰذا وُضع هذا العيد الحاضر هٰهنا، تنبيهًا لنا أننا في **الأحد المقبل بواسطة آدم (مرفع الجبن)** عتيدون أن نُطرَح من عدنٍ حسب الرسم، إلى أن يوافي المسيح ويردَّنا للفردوس ثانيًا.

ثم دُعي **مجيئًا ثانيًا** لأنه أولًا، أقبل إلينا بالجسد لكنه بهدوء وبغير مجد. وأمَّا الآن فيوافي من السماء بعجائب تفوق الطبع، وبهاءٍ ساطع بجسده أيضًا حتى يُعرَف عند الكل أن هذا هو الذي جاء فيمَا سلف، وانقذ الجنس البشري، وهو العتيد أن يدينَه ويفحص إن كان حفظ حسنًا ما دُفع إليه؛ فامَّا متى يكون هذا المجيءُ فلا أحد يعلم بذٰلك لأن الرب قد أخفى هذا حتى عن الرسل لكنه أعلن أنه سيسبق هذا **علامات ما**، والتي شرحها بعض القديسين بأوسع بيان. فيُقال انه سيكون ذلك بعد عبور سبعة آلاف سنة، وقبل حضوره يوافي **ضدُّ المسيح**، وسيُولَد (كما يقول القديس ايبوليطوس أسقف رومية) من امرأة نجسة بتول بحسب الظاهر، لكنها من العبرانيين من قبيلة دان بن يعقوب. وَيَسْتَار بسيرة المسيح ويجترح عجائب كالتي فعلها المسيح، وَيُنْهِضُ أمواتًا **لكنه يحصل كل ذلك بالوهم والخيال**، أعني الولادة والجسد، وجميع ما بقي كما زعم الرسول قائلًا. وحينئذٍ يعتلن ابن الهلاك بكل قوةٍ وآياتٍ وجرائح كاذبة. لكن يجب أن نعلم حسبما قال **القديس يوحنا الدمشقي**: أنه ليس الشيطان يستحيل إلى جسد، بل إنسانٌ يولد من زناء، ويتقلَّد كل أفعال الشيطان ويهيج ثائرًا بغتةً. ثم يظهر للجميع صالحًا وديعًا، وحينئذٍ يصير جوع عظيم فيكفي الشعب من المآكل، ويثابر على الكتب الإلهية ويُحكِم الصوم. فيلزمه الناس ويُنادون به ملكًا عليهم. ويحبُّ جنس العبرانيين حبًّا شديدًا، ويردُّهم إلى أورشليم ويبني هيكلهم. وقبل سبع سنين كما يقول **دانيال** يأتي **أخنوخ وإيليا** ويكرزان للشعب ألَّا يقبلوهُ فيقبض علَيهما، ويتمرَّد جائرًا ثم يقطع رأسَيهمَا. وأمّا الذين اختاروا المثابرة على حسن العبادة، فيهربون بعيدًا، والذين يجدهم في الجبال يمتحنهم بالشياطين، فتقصر تلك السنين الصعبة لأجل المختارين، ويصير جوع عظيم **وتستحيل الاسطَقِسات** (تتغيّر الاسطَقِسات أي العناصر الأربعة: الماء والهواء والنار والتراب) كلها حتى يفنى عمَّا قليل الجميع.

وبعد ذلك يصير بغتةً حضور الرب من السماء كمثل البرق ويتقدَّم الصليب الكريم، ونهر النار يسير قدَّامهُ متأجّجًا، ويطهّر جميع الأرض من كل النجاسات. فللوقت يُقبَض على **ضدّ المسيح** مع خدّامه، ويُدفَعون إلى النار المؤبَّدة. فيصوّت حينئذٍ الملائكة، فيوافي على غفلةٍ من أقاصي الأرض ومن جميع الاسطَقِسات جميع اجناس البشر قاطبةً إلى أورشليم، لأنها نصف الدنيا. **وهناك جلست الكراسي للقضاء.** إلَّا أنهم يأتون بنفوسهم وأجسادهم مستحيلين جميعهم إلى عدم الفساد، وحاوين صورة واحدة. والاسطَقِسات ذاتها تتحوَّل إلى ما هو أفضل، وَيَفْصِلُ الرب بكلمة واحدة الصدّيقين من الخطأة **فيذهب الذين عملوا الصالحات إلى حياةٍ أبديّة، وأمّا الخطأةُ فإلى العذاب المؤبَّد**، ولا يكون انتهاءٌ لكلَيْهمَا. ويجب أن نعلم أن المسيح لن يطلب في ذلك الوقت صومًا وعريًا وعجائب إذ وان تكن هذه الأشياء هي جيّدة لكن يطلب الأفضل من ذلك كثيرًا أعني

صَدَقة وشَفَقة. لأنه سيقول للصدّيقين وللخَطأةِ ستَّة أشياء: لأني جُعتُ فأطعمتموني، وعطشتُ فسقيتموني، غريبًا كنت فآويتموني، عريانًا فكسوتموني، ومريضًا فافتقدتموني، وفي الحبس فزرتموني، لأنكم مهما عملتم بأحد هؤلاء الأصاغر حسب طاقة كل أحد في صنعتموه. حينئذٍ يعترف كل لسان **أن الرب يسوع المسيح لمجد الله الآب**. فأمَّا العقوبات التي سلَّمها الإنجيل الشريف، فهي هذه سيكون هناك البكاء وصرير الأسنان. دودُهم لا ينام، ونارُهم لا تُطفأ. ويتمّ قول المسيح: "واطرحوهم في الظلمة القصوى". فجميع هذه ٱقْتَبَلَتْهَا كنيسة الله جليًّا، وتزعم أن النعيم وملكوت السموات هي التصرُّف والتدبُّر مع قديسي الله، والبهاءُ والارتقاءُ العديما الانقضاء فهما اللَّذان سيكونان هناك، وأمَّا العذاب والظلمة وما أشبه ذلك فهو الابتعاد من الله، وفناءُ النفوس بواسطة تقريع الضمير لأجل ما عدموهُ من الإشراقات الإلهية بواسطة التواني والنعيم المؤقّت.

ملحوظة: أنظر رأي آباء الكنيسة في الدينونة صفحة ١٤

القنداق على اللحن الأول: إذا أتيتَ يا ٱللهُ على الأرض بمجدٍ، ويرتعد منك الكل ، ونهر النار قدام الكرسي يجذب، والمصاحف تُفتح، والخفايا تُشهَر، في ذلك الوقت نجِّني من النار التي لا تُطفأ، واجعلني مستحقًا للوقوف عن يمينك، يا دَيَّانًا حَقَّانيًا.

الدينونة الأخيرة
للقديس كيرلس الأورشليمي

ولكن ما هي علامة مجيئه بحيث لا يمكن لأي قوة أخرى أن تماثلها؟ وحينئذٍ **يقول المسيح: تظهر في السماء علامة ابن الإنسان!** فهذه العلامة الحقيقية الخاصة بالمسيح. هي حِليةُ علامة الصليب. التحَمَت بالنور تَسْبِقُ المَلِكَ وهي تُظهر الذي صُلِبَ قديمًا لكن عند نظرة اليهود الذين دَسُّوا له الدسائس وضربوه، يقرَعونَ صدورَهم وهم صارخون: هذا هو الذي ضرَبوه. هؤلاء هُمُ الذين بصَقوا في وجهه... هذا هو الذي ربَطوه... هذا هو الذي صلبوه بعد أن هَزَأُوا به! أين المفرُّ من وجهه ومن غضبه؟.. ولكنَّ أجواق الملائكة ستحوطُهم فلا يستطيعون الفرار لأيّ مكان.

إنَّ الصليبَ سيُخيفُ به أعداءَه، ولكنْ سيُفرحُ أصدقاءه الذين آمنوا والذين بشَّروا وتألَّموا لأجله. ألا يكون سعيدًا ذلك الذي سيعرفُه المسيح في هذا اليوم؟ أنَّه من أخصَّائه لأنه سوف لا يحتقر عبيدَه الأُمناء؟ فالْمَلِكُ في قدرته ومجده تحوطُه ملائكته، يجلس عن يمين الآب، ولكي لا يختلط مختاروه مع أعداء الله؛ سيُرسل ملائكته ويجمع هؤلاء المختارينَ بصوت أبواقٍ مدوِّيةٍ من أقاصي الأرض. إنَّ الله لم يحتقر لوطًا ولو كان البارَّ الوحيد، فكيف يحتقرُ جمهرةَ الأبرار؟ فإنه يقول لهؤلاء الذين جمعَتهم الملائكة: « تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ...» (متى ٢٥ : ٣٤).

سنُجازَى عن كل ما نفعله في هذه الحياة
للقديس يوحنا الذهبي الفم

لا يطرأ على أفكارنا أن كل ما نفعله ينتهي بحياتنا الحاضرة، بل يجب أن نؤمن بأن الدينونة لا بدّ منها، وان كل إنسان سيُجازَى بحسب أفعاله، وإلا فلماذا بسطَ الله السموات العظيمة بهذا المقدار؟ ومدَّ الأرض وأوسعَ البحر وملأَ كل شيء بالهواء، وأظهر المِهَن المختلفة؟. لماذا هذا كله لو لم يشأ الاهتمام بنا حتى النهاية؟ أنظرتَ إلى الصديقين كم تحمّلوا من المصائب والعذابات؟ ثم قضوا قبل أن ينالوا شيئًا حسنًا، خلافًا للآخرين الذين طفحت حياتهم بالفساد، والمعتدين على غيرهم، والمضايقين الأرامل والأيتام، والمتلذّذين بالثروة والغنى، والزخرف وكل ملذّات العيش، ومع ذلك فقد مضوا ولم ينلهم أدنى ضرر. ولكن، كما ينال الأولون الجائزة عن فضيلتهم، ينال الآخرون أيضًا جزاء فسادهم عند انتهاء حياتهم في هذا العالم، لأن الله موجود وعادل وسيجازي كل واحد بما يستحق، وان كان في هذه الحياة لا يعاقب الفريق الأول على خطاياه، ولا يجازي الثاني على فضيلته، فهذا دليل على أنه سيأتي وقت ينال فيه كلٌّ ما يستحق. ولذلك جعل الله في نفس كل منا حاكمًا يقظًا، لا يغفل ولا ينام عن شيء ألا وهو الضمير. أجَلْ لا يوجد بين البشر حاكم كالضمير.

لا شيء نجهله مثل ساعة الموت. «اسهروا إذن فإنكم لا تعلمون اليوم ولا الساعة». (متى ٢٥/١٣). يباغتنا الموت ويفاجئنا. «يأتي ابن البشر في ساعة لا تظنونها». (لو ١٢/٤٠)

وَأَرَى ٱلطَّبِيبَ بِطِبِّهِ وَدَوَائِهِ ... لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَ مَكْرُوهٍ أَتَى
مَا لِلطَّبِيبِ يَمُوتُ بِٱلدَّاءِ ٱلَّذِي ... قَدْ كَانَ يُبْرِىءُ مِنْهُ فِيمَا قَدْ مَضَى
ذَهَبَ ٱلْمُدَاوِي وَٱلْمُدَاوَى وَٱلَّذِي ... جَلَبَ ٱلدَّوَاءَ وَبَاعَهُ وَمَنِ ٱشْتَرَى

في الصوم وعمل الإحسان

عظة للقديس غريغوريوس پالاماس أسقف مدينة تسالونيكي

١ – بعض المناطق البحرية تأوي كلابًا بحرية متوحشة كبيرة. وكل من يُبْحِر بمحاذاة تلك الأماكن يُعلّق أجراسًا على جوانب البواخر حتى تهرب الوحوش البحرية المرتعدة من صوتها. كذلك فإن بحر حياتنا يُغذي وحوشًا كثيرة مرعبة هي **أهواؤنا الشرّيرة**، إلى جانب **الأرواح** الراصدة لتلك الأهواء. **وهي شرٌّ منها**.

وفي مثل هذا البحر تسير **كنيسة الله** بمثابة مركب، وبدل الأجراس لديها **معلّمون روحانيّون**. فنستخدم صوت تعليمهم الشريف لكي يُبعد الوحوش العقلية. لعلَّ هذا ما كان يشير إليه رداء هارون مع أجراس معلقة على طرفه، وحسب العادة كان يفترض أن يُسمع صوتها عندما كان هارون يقوم بالخدمة.

٢ – ونحن إذ ننتقل من الحرف إلى الروح، نستخدم أجراسًا روحانية في وقت الصيام هٰذا، وذلك لابعاد الوحوش التي تهاجمنا سِرًّا وعَلَنًا. في الظاهر هي شراهة البطن والسُّكر وما شابه، وفي الخفاء هي المجد الباطل والتكبّر والخبث. هذا الصوت يبعد عنا هجمات مثل هذه الوحوش، كما يحرس في الوقت نفسه الصائمين، العاكفين على الإمساك.

٣ – الصوم والشراهة متناقضان **كالحياة والموت**. الصوم وصيّة حياة تليق بالطبيعة البشرية طالما أن الله أعطاها لآدم في البدء في الفردوس، للحفاظ على حياته، وعلى النعمة الإلٰهية الممنوحة من الله. إلا أن الشراهة نصيحة تقود إلى موت الجسد والنفس. أُعطيت غِشًّا من الشيطان لآدم عن طريق حوّاء للسقوط والاغتراب عن الله ونعمته الإلٰهية. فالله لم يخلق الموت، ولا يفرح لهلاك الأحياء. من هو الإنسان الذي يريد أن يجد الحياة في الله ومن الله؟ فَلْيَهْرُبْ من الشراهة المميتة، وَلْيَهْرَعْ نحو الصوم المؤَلِّهُ ونحو الإمساك لكي يعود فَرِحًا إلى الفردوس.

صوم أنبياء العهد القديم

٤ – صام موسى النبي على الجبل أربعين يومًا، وارتفع إلى علوّ الرؤيا الإلٰهية، وتقبَّل من الله الألواح وعليها الوصايا الإلٰهية، بينما اخذ شعب العبرانيين في الأسفل يَسْكَرُ **فسقط في الوثنية**. صنع لنفسه عِجْلًا مسبوكًا من ذهب على شبه **الإلٰهة المصرية آبيذوس**. ولو لم يقف موسى وسيطًا لدى الله، لما غفر الله لهم خطيئتهم (خروج٣٢). إن التجاءنا نحن إلى رحمة الله فلا نسكرنّ بالخمر، ولا نثقلن بطوننا بالطعام مما يؤدي إلى الفساد والخلاعة كما جاء عند الرسول: «لا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح» (أف٥:١٨).

رأى ايليا النبي أيضًا الله بعد أن طهّر نفسه بالصوم أربعين يومًا واربعين ليلة (٣ مل١٩:٨..). وكذلك دانيال النبي الذي تراءى له رئيس الملائكة، وأعطاه معرفة المستقبلات بعد أن صام عشرين يومًا كاملةً (دانيال ١٠:٢..)...وتعرفون **عيسو** بنَ آسحق الذي سقط بداعي شراهة البطن عن البكورية وخسر ألبركة الأبوية (تكوين ٢٧:٣٦).

لنرهب نحن أيضًا من شراهة البطن هذه، حتى لا نسقط من بركة الأب وعطيته الإلٰهية. أَلا تعلمون أيضًا أن الفتية الثلاثة صاموا فأخمدوا لهيب نار الأتون في بابل، وقد حُمِّيت لهم سبعة أضعاف؟

٥ – إن صُمنا صومًا حقيقيًا نقضي على فساد الجسد، ونجوز أتُّون النار بدون أذى، عندما يُمحَّص عمل كل واحد بالنار. سوف أتكلم أيضا عن **الرّب سيّد الأنبياء** بعد أن اتخذ جسدًا وصار أنسانًا من أجلنا ليُرينا طريق الغلبة ضد الشيطان. اصبح صائمًا في كل شيء وانتصر على التجربة. كان يقول لتلاميذه عن **الشيطان الأصم الأبكم** «هذا الجنس لا يخرج إلا بالصلاة والصوم» (مر ٩:٢١).

الاعتدال في الصوم

٦ – أيضًا أيها الاخوة ما هو الصوم الحقيقي؟ اعلموا هٰذا إننا لا نمدح الصوم الجسدي بحد ذاته، بل من اجل فائدته للإنسان، لنفسه. يقول الرسول بولس: «إن الرياضة الجسدية نافعة لقليل، ولكن التقوى نافعة لكل شيء إذ لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة» (١ تيمو٤:٨). لذلك لم يرضَ الآباء بالصوم أيامًا كثيرة متتالية، بل أمروا بأن يؤكل قليلًا

في كل يوم دون أن يشبع البطن. هذا هو الصوم المعتدل الذي يتكلم عنه الكتاب: ألّا يدع الإنسان نفسه تستسلم إلى شراهة الحلق والبطن. أما نوعية الطعام وكميته فلتكن نسبة إلى كل قامة جسدية حتى يحافظ على صحته. يأكل المريض وفقًا لحالته، ويطلب الإنسان عامة ما هو لحاجته لا لتنعّمه، الشراب لا السُّكر والخلاعة...

٧ – لقد كرّم المسيحيّون **الصوم من اجل تطهير النفس**. إذ ما الفائدة إذا امتنعنا عن الطعام الجسدي في حين أن شهوات جسدية تسود علينا؟ وما الفائدة من العطش إذا كنا نسكر لا من الخمر بل نضطرب من **الغيظ والحسد**؟ ما الفائدة إذا ابتعدنا عن الموائد الفاخرة وعندنا **نفس متكبّرة**؟... ما الفائدة إذا تحررنا من المآكل الكثيرة **وذهننا ممتلئ بالأفكار والاهتمامات الباطلة**؟...

٨ – **الصيام** النافع إذًا هو الذي يتمّ من اجل تبديد الشهوة، وكذلك **من اجل اتضاع النفس**، من اجل تحوّل الكراهية، من اجل إطفاء الغضب، من اجل تطهير الفكر، وإتمام الصلاة بنقاوة.

إن كنت غنيًا، قَدِّمْ فيض طعامك للبائس. إن كنت تصوم، فأنت تشارك المتألمين، بل أيضا تملك مع المسيح إلى الدهر. فانك عن طريق الصوم تُصبح شبيهًا بموته مما يجعلك شريكًا في قيامته ووارثًا للحياة معه.

إن جُرِّب من يصوم، يتخطى التجربة، وإن لم يُجرّب، يحافظ على سلامة جسده ونفسه **مستعبدًا جسده**، حسب تعبير بولس الرسول (١ كور٩:٢٧) حتى لا يظهر غير مجرَّب. إن كان الرسول نفسه يجزع، فكم بالأحرى نحن؟ من يَصُمْ يستعبد جسده ويجعل نفسه مختبرة. أما الذي يغذي جسده، والذي سوف ينحلّ بالأطعمة الفاخرة، فيعيش للمأكل والمشرب (ولا يأكل لكي يعيش)، مثل الحيوانات التي تأكل كثيرًا قبل أن تُذبح. يأكل ما يزيد عن شبعه، فيسقط في الشهوات الرديئة، ولا يعمل شيئًا آخر سوى تهيئة جسده غذاءً للدود. حسنًا رتّل داود: «أي فائدة لجسدي عند انحداري إلى الجحيم؟» (مز٢٩:٩).

الإحسان

٩ – عندما تصوم وتغتذي بالإمساك، لا تخزّن للغد، بل كما افتقر الرب لكي يُغنينا، هكذا أنت صم بإرادتك لكي تعول الجائع بغير إرادته. عندها ستكون كَالْحَمَامِ الذي يجلب غصن الزيتون، ويبشّرك بالخلاص من الطوفان.

«إِنْ نَزَعْتَ مِنْ وَسَطِكَ النِّيرَ وَالإِيمَاءَ بِالأَصْبُعِ وَكَلاَمَ الإِثْمِ وَأَنْفَقْتَ نَفْسَكَ لِلْجَائِعِ، وَأَشْبَعْتَ النَّفْسَ الذَّلِيلَةَ، يُشْرِقُ فِي الظُّلْمَةِ نُورُكَ، وَيَكُونُ ظَلاَمُكَ الدَّامِسُ مِثْلَ الظُّهْرِ.» (اش ٥٨:٩-١٠).

إن لم تُرد أن تعطِ من مالك، فعلى الأقل ابتعد عن مال القريب، ولا تحتل أشياء لا تخصك، خاطفًا ومخزّنًا في بعض الأحيان حتى من الفقراء ظلمًا لئلا تسمع صوت النبي الصارخ بعدل: « أهكذا يكون الصوم الذي آثرته...أإذا حنى رأسه كالبردي وافترش المسحَ والرماد، تسمّي ذلك صومًا؟ بل هو حلّ قيود النفاق، وفك رُبُط النير،

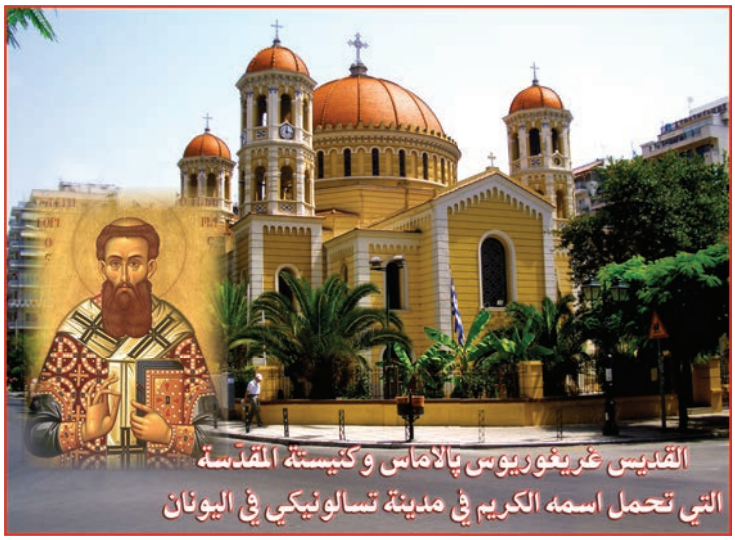

وإطلاق المضبوطين أحرارًا. أليس هو أن تكسر للجائع خبزك، وان تُدخل البائسين المطرودين بيتك. وإذا رأيت العريان أن تكسوه، وألّا تتوارى عن لحمك؟ حينئذ ينبلج كالصبح نورك، وتزهر عافيتك سريعًا، ويسير بِرُّكَ أمامك، ومجد الرب يجمع شملك» (اش ٥٨:٥-٨).

الدينونة العادلة

١٠ – إن لم تعط الفقير من مالك وخصوصًا مما يفيض عنك، فعلى الأقل لا تَكْسِبْ «**عن ظهره**». إن كان المسيح، سيّد الكلّ، يرسل الذين عن يساره، الملاعين، **إلى النار الأبدية**، إلّا انه لم يحكم عليهم كخاطفين، بل لانهم لم يُسعفوا المعوَزين. لذلك لن يقف الخاطفون والظالمون حتى للمحاكمة والدينونة، بل سوف يذهبون للحال محكومًا عليهم ومُدانين لأنهم، كما يبدو من الكتاب، لم يمثلوا أمام الله في حياتهم أي لم يلتجئوا إليه. يقول:

«الذين يأكلون شعبي أكل الخبز دون أن يذكروا الرب» (مز١٣:٤).

سوف يُحكَم بعدلٍ على الغني الذي أخصبت أرضه (لوقا١٢:١٦) وعلى اللابس الأرجوان والبَزّ (لوقا١٦:١٩)، ليس لانهما ظَلَما أحدًا، بل لانهما لم يشاركا الآخرين بما حصلا عليه، فالمخزون مشترك من خزائن الخليقة الإلٰهية المشتركة. كيف لا يُحسب جَشِعًا من يُغلق على المال المشترك، حتى وان لم يكن من أولئك الذي يخطفون علنًا ما ليس لهم.

سيُفصل الأوّل كعبدٍ شريرٍ، أما الثاني، أي الظالم، فسيلاقي الحُكم الأشنع والأرهب، ولا أحد منهما يستطيع الهرب. سيحصل هذا إذا لم ينُصف الأول الفقراء معاملًا إياهم بالحسنى، وإذا لم يوزّع الآخر حسنًا ما قد جمعه بغش.

١١ – يكتب الرسول بولس العظيم إلى أهل تسالونيكي عن الرحمة قائلًا: « واما المحبة الأخوية فلا حاجة لكم أن اكتب إليكم عنها لأنكم أنفسكم متعلمون من الله أن يحب بعضكم بعضًا» (١تسا٤:٩).

١٢ – لقد قال الرب للبعض: « لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم» (يو٨:٣٩). **فلنرهب** نحن أيضًا من هٰذا الكلام الذي لا يقال لنا اليوم ولكنه سوف يقال، لا سمح الله، في ذلك اليوم الرهيب عندما يُحكَم على القربى بموجب قانون القرابة، حينها يصير كل الذين احبوا الفقر في المسيح، أو على الأقل الإحسان إلى الفقراء، والذين ازدروا بالمجد الأرضي، واحبوا الإمساك، وعملوا بموجب الأوامر الإنجيلية حسب صلاة الآب السماوي، حينها يصيرون بالنعمة واحدًا بما يفوق الطبيعة. يقول: «ليكونوا واحدًا كما نحن واحد» (يو١٧:٢٢).

حينها يأتي سيف الروح ويفصل بين الإنسان وأبيه وبين البنت وامها، فيجعل غير الشبيهين في السيرة غرباء فيما بينهم.

إن فصلهم ههنا، فكم بالأحرى هناك حيث يقول لغير المتشبهين به «لا أعرفكم» لانهم لم يمتلكوا كما يجب صورة السماوي، ولم يكونوا رحماء على مثال أبيهم السماوي. **لم يجعلوا مقتناهم مشتركًا مع المُعْوَزِين** كما يفعل الله، ويُعطي من خيراته مجانًا وللجميع. لم يكونوا لطفاء مع القريب ولم يُحسنوا إلى الغرباء، لذلك لن يعرفهم الإله الصالح، ولن يقبلهم في بيته هذا لانهم لم يتشبهوا به كما ذُكر.

إن قال الآب هٰكذا، فسوف يقول البنون الشيء نفسه، أولئك الذين عاشوا ههنا حسب قوله، الذين سوف يملكون معه. سوف يقولونه لأقربائهم بحسب الدم، والذين يتشبهون بهم بحسب الفضيلة.

١٣ – وان قال أحدٌ أني ابنك، أو كنت أباك أو أخاك، يسمع الأخير الصوت القائل: ليس هناك أب سوى الله، ويسمع الأول: لو كنت ابني لتشبهت بي. أما وقد صرت ابن ذاك الأب (**الشيطان**) الذي عملتَ في حياتك من أَجله، فاذهب عني الآن، وعشْ معه إلى الأبد لأَني لا أعرفك. كل ما هو لله هو لي، أما أنت فلست لله.

العبارة «هذا لي»، «خاصتي»، «وهذا لي» «خاصتك»، قد وَلَّت. لقد ازدرينا بهذا القول في الحياة العابرة، ولذا ورثنا الملكوت ههنا. هناك، حيث تستخدم مثل هذه العبارة، تغيب أواصر المحبّة والازدراء بالآخرين والالتصاق بكل شرّ. والآن هٰذا الهوى نفسه قد خذله.

١٤ – لنخشَ أيها الاخوة هذه الأمور كلّها. لنضبط تصرفنا بشكل يرضي الله. **لنغفر حتى يُغْفَر لنا. لنرحم حتى نُرحَمَ أضعافًا**. فإن المسيح من أجلنا قد افتقر واقتبل الرحمة، فضاعف العطيّة. لذلك لنفتقر معه حتى نحيا به ونتنعم بعطاياه الغنية، وهكذا نخلص مع عشرائه الفقراء. لِنَكْسَبِ الرأفة، ونكون مثلًا لأخينا في المحبة مكرَّسين للآب وحده.

هذا الوقت، زمن الصوم، هو الوقت المناسب لعمل كل ذٰلك. **فان جمعنا بين الصوم والرحمة والعطف، تزول كل خطيئة وتُمحى، فنسجد بدالة للآلام الخلاصية، ونفرح بقيامة المسيح ونحظى بالخلاص الأبدي.**

١٥ – لنحظَ بكل هٰذا في المسيح إلٰهنا الذي له ينبغي كل مجد وإكرام وسجود، مع الآب الذي لا بدءَ له والروح الكلي قدسه الصالح والمحيي الآن، وكل أوان والى دهر الداهرين، آمين.

عن الصوم
للقديس يوحنا الذهبي الفم

أن يكون الصومُ فقط امتناعٌ عن الأكل هذا حطٌّ من كرامة الصوم. المطلوب في الصوم ليس الانقطاع بواسطة الفم، بل الانقطاع عن شيء باطل بواسطة العيون، والآذان، والأرجل، واليد، وكل الجسم. تصوم الأيدي بالطهارة والابتعاد عن السرقة والبخل وعمل الرذيلة؛ والأرجل بالابتعاد عن المشاهد المحرّمة؛ والعيون بالامتناع عن النظر إلى أي شيء يُغريها: إنَّ طعام العيون هو النظر، فإذا فسُد أبطلَ خير الصيام، وإذا صلُحَ نفع الصوم. وانه لغريب حقًا أن يمتنع الإنسان عن مأكل، ليس فيه شرّ بحدّ ذاته، وألَّا يمتنع عن نظرات تسبّب له لذّات محرّمة. فإذا منعت عن فمك اللحم، إمنع بالوقت نفسه عن عينك ما يضرّها ويفسدها؛ إلزم أُذنيك بصوم قاسٍ وذلك بالامتناع عن سماع النميمة والافتراء؛ قال الرب ابتعِد عن كلام شرير وخدّاع، وأنت لا ترضى؛ أبدًا، ولا الكلام غير الحسن. وماذا ينفعك بأن تمتنع عن أكل اللحم والسمك، إذا نهشت قريبك بلسانك المغتاب والمؤذي.

قِيلَ تَجَنَّبْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ لِتَخْلُصَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ. تَجَنَّبْ مِنَ ٱلْحَسَدِ لِتَخْلُصَ مِنَ ٱلْحُزْنِ. وَلَا تُجَالِسْ جَلِيسَ ٱلسُّوءِ وَقَدْ تَخَلَّصْتَ مِنَ ٱلْمَلَامَةِ. وَلَا تَرْكَبِ ٱلْمَعَاصِيَ وَقَدْ تَخَلَّصْتَ مِنَ ٱلنَّارِ. وَلَا تَجْمَعِ ٱلْمَالَ وَقَدْ ٱسْتَرَحْتَ مِنْ عَدَاوَةِ ٱلْخَلْقِ.

«ومن منكم وهو يريد أن يبني بُرْجًا، لا يجلس أولًا ويحسب النفقة..» (لو ١٤: ٢٨-٣٠).

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصَرْتَ حَاصِدًا

نَدِمْتَ عَلَى ٱلتَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ ٱلْبَذْرِ

سُئِلَ بَعْضُ ٱلرُّهْبَانِ مَتَى عِيدُكُمْ:

قَالُوا: يَوْمَ لَا نَعْصِي ٱللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَذٰلِكَ عِيدُنَا. لَيْسَ ٱلْعِيدُ لِمَنْ لَبِسَ ٱلْمَلَابِسَ ٱلْفَاخِرَةَ. إِنَّمَا ٱلْعِيدُ لِمَنْ أَمِنَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ. لَيْسَ ٱلْعِيدُ لِمَنْ لَبِسَ ٱلرَّقِيقَ. إِنَّمَا ٱلْعِيدُ لِمَنْ عَرَفَ ٱلطَّرِيقَ.

(الرَّقِيقَ : الملابس الناعمة الفاخرة.)

عن حراسة الأفكار ؟ للقديس باسيليوس الكبير

* ما علاقة النفس بالعقل؟ * وبين النفس والجسد؟ * الدرجات الروحانية العالية إذا سار العقل والجسد في الوضع الطبيعي. * كيف ينشأ الانحراف ؟! * القوّتان اللتان للنفس، وعمل وطبيعة كلٍ منهما. * ولمن تكون القيادة للسير حسب المنهج السليم ؟ * الجسد ليس علّة الشرّ. * كيف تُروِّض النفس حركات الجسد ؟

تتمة – ليس الجسد هو علّة الشرّ:

† **فالنفسُ هي الملومَة**، ولو لم تستطع أن تضبط آلام الجسد (**رغباته الفاسدة**) وَتُرَوِّضَ حركاتِهِ لكان للهراطقة حُجَّةٌ في لوم الجسد. فقد قَهَرَ الأبطال (الروحانيون) المجاهدون أوجاعَ الجسد، وسَيَّروه في (الأمر) الصالح.

وعلى ذلك فالنفس هي التي يلزمها اللوم، لأنها تَوانت، مع أنّ لها السلطان على الجسد.

† والنفس أيضًا ليس الشرّ في طبعها – معاذ الله – إنّما وُجِدَ فيها الشرّ من جهة أنّها لم تعمل الخير، الذي اعطتها القدرة عليه، والاختيار فيه.

والشرّ في الإنسان ليس سوى انعدام الفضيلة، وحيث لا فضيلة، فهناك الشرّ فعلًا.

عَنِ ٱلْابْتِعَادِ عَنِ ٱلنِّسَاءِ

† يجب أن نجتهد في تدبير أفكارنا (ضبطها) وبالأَكثرِ يجب أن نبتعد عن كل حديثٍ (**دَنِسٍ**) بقدر ما نستطيع.

† وأن نهرب من الأشياء التي يجذب التقرُّب منها الى أفكار الأوجاع، ويقيم الحروب في داخل أنفسنا، لأنّ الحروب التي تدخل إلينا بغير إرادتنا، يلزمنا أن نجاهد ضدّها بشدّة. أما إذا كانت تجلب علينا وحدنا – **حربًا بإرادتنا** – فإنّ هذه شقاوة (تعاسة للنفس).

ملحوظة: يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**: «لا يستطيع أحدٌ أن يضرّك ما لم تضرّ نفسك».

† فالذي يُغْلَبُ في القتال الذي يأتي عليه ضدّ مشيئته، يحاول أن يجد عُذرًا وعفوًا. مع أنّ مجاهدي ٱلمسيح لا يُغلَبون إذا ما جَاهدوا – بكل قوّتهم (مع وسائط النعمة) في هذا القتال الوارد عليهم بغير إرادتهم.

أَمَّا الذي يُغْلَبُ **في قتال هو جلبه لذاته**، فهو يصير أُضحوكة لكثيرين (من الشياطين والبشر).

† فيجب – يا أحبائي – أن نهرب بالأكثر من ٱلاختلاط بالنساء، والحديث معهن، وإن حدثت ضرورة أكيدة لذلك. (وهو كلام موّجه بالأكثر إلى الرهبان بالطبع، ولكنه يصلح أيضًا لكلا الجنسين، وخاصة في التواجد بعيدًا عن رقابة الناس (اللقاء الخاص بين اثنين).

فلنحذر مثلما نحذر من الاحتراق بالنار. ولنحذر من أن نبطيء معهن في الجلوس. ولنُسرِعِ بٱجتهاد لفضّ الأمر الذي اضطررنا لعمله، ونفارقهنّ سريعًا (خوفًا من الْعَثْرَةِ)؛ يذكر الآباء القديسون: (أنه لتجنّب السقوط المتكرر، يجب كسر **حلقاتٍ ثلاثٍ** يُقَيِّد بها عدوّ الخير النفس، فتسقط بسهولة وبتكرار، وهي: «**المكان + ظروف السقوط السابقة + الأشخاص المعثرون من الجنسين**»).

† وأن قال أحدٌ: «**إنني لا أتأذّى اذا اجتمعت بالنساء**». فَلِعَلَّ هذا ... مثل الذين قيل عنهم: «لأَنَّهُ يُوجَدُ خِصْيَانٌ وُلِدُوا هكَذَا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَاهُمُ النَّاسُ، وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ» (متى ١٩: ١٢) ... وإن لم يكن كالخصيّ. بل هو مثل باقي الذكور – فهو غارقٌ في آلام الجسد (أفكار الشهوة)، ولا يحسّ في ذاته بهلاكه.

† مَثَلُه مَثَلُ السكّير التائه القلب. الذي يتصارع كثيرًا مع ألم الشهوة (حرب الشهوة)، وهو لا يحسّ، ظَنًّا منه أنّه لم يلحقه شرٌّ. ولكنّني أقول: ليس إنسانٌ إلّا ويتحرّك فيه هذا الألم (حرب الشهوات).

† وإن كان الرجل لا يتدنّس – **في فكره** – اذا اجتمع بامرأة (على انفراد) لكن مِنْ أين يعرف هو فكر المرأة، وأنّها لم تتأذَ من جهة الاجتماع معه، وانها تواجه هي أيضًا حروب أفكار الشهوات !!!

† فالأصلح ألّا نجلس مع إمرأة بالجُملة، إن أمكن هذا (وهو ما ينطبق أيضًا على النساء والبنات، وعدم الجلوس مع رجال على انفراد) وإلّا فينبغي أن نعتفي من الجلوس معهن دفعاتٍ كثيرة. وإذا اجتمعنا لضرورة عظيمة (أمرٌ هام) فلا نُطيل الجلوس والحديث معهن (وبالطبع يكون حديثًا روحانيًا من أجل خلاص النفس، وبعيدٌ عن الكلام العالمي.

† وليس هذا كلّه لأننا نُبغض النساء، أو ننكر اشتراكنا معهن في النسب الواحد، وأعني البشريّة. **كَلَّا**، بل أنه جيدٌ أن نعطيهن ربحًا وتحفظًا (كلمة منفعة وتحذيرات) لاسيّما (الراهبات والمكرّسات) اللواتي يحملن جهاد الطهارة، ويجاهدن معًا في الأتعاب عينها. وإنما نتحفّظ من الاجتماع بهن والحديث معهن، لئلا نتذكّر – مرّة أخرى – الألم الذي أُعفينا – **منه في هذا العالم** – ورذلناه.

ملحوظة: دعا المغبوط أغسطينس إلى اللقاءات العامة الروحانية والاجتماعية بين الجنسين، وليس للقاءات المنفردة بين ٱثنين فقط في مكان خفي.

تذكار ٱلشهداء ٱلاثنين وٱلأربعين ٱلذين من عمورية († نحو ٨٤٥ م) ٦/٣ ش ١٩/٣غ

زَمَنُ حُكْمِ ٱلخَلِيفَةِ ٱلوَاثِقِ بِٱللهِ فِي ٱلدَّولَـةِ العَبَّـاسِيَّةِ

إنَّ ذَبح الاثنين والأربعين قائدًا مسيحيًا ، من قوّاد الجيوش الروميّة البيزنطيّة ، **بسيوف العبّاسيين** في بغداد، لأنّهم وهُم في الأَسرِ ثَبتوا بشهامةٍ وأنفة على إيمان آبائهم وأجدادهم الأرثوذكسيّ القويم الرأي، لهو من الحوادث المروّعة التي يذكرها الكَتَبة الكنسيُّون بعاطفة بليغة من الاعتزاز والفَخَار.

كانت الجيوش العربيّة المحتلة في القرن التاسع، أيّام هرون الرشيد والمأمون وخلفائهم، تجتاح البلاد الروميّة في آسيا الصُغرى، وتعود أحيانًا ظافرةً مُثْقَلَةً بالغنائم. فجاءَت يومًا وَطَوَّقت **مدينة عمورية في إقليم فريجيا**، وشدّدَت عليها الحصار. فاستبسلت حاميتها وصمدت للعدوّ أشهرًا طوالًا. لكن **أحد الخَونَة** من الروم فتح الأبواب للعرب، فدخلوها واعملوا السَّيفَ في رقاب أهلها، وذبحوا الحامية عن آخرها. إلّا أنَّهم أبقَوا على القُوَّاد، وكانوا **اثنين وأربعين قائدًا**. فجرَّدوهم من أسلحتهم، وصفدوهم بالحديد، وساقوهم إلى بلادهم، وطرحوهم في غياهب السجون.

وَعلَّلَ (عَذَّبَ) العرب النفس (نفوس الشهداء)، بعد أن أذاقوهم مُرّ العذاب والهَوان، بأن يحملوهم على انتحال الإسلام، كما فعل وللأسف غيرهم من قبلهم. لكن أولئك القوّاد البواسل آثروا السجن والموت على أن يكفروا بإلٰه حداثتهم، وربّ عيالهم وأولادهم. وشَدَّد العرب عليهم في أَسْرِهِم، فلم ينالوا من ثباتهم مأربًا. وكانوا كلّ يوم يعلّلونهم بالحريّة وبالعودة إلى أنسبائِهم وأولادهم، على شَرط أن يكفروا بالمسيح، ويؤمنوا برسالة محمد نبيّ الإسلام، ويختتنوا ويُقيموا الصلاة مع الخليفة. ولم يكتفوا بإثارة عواطفهم، بل أرسلوا إليهم علماءَهم ليقنعوهم بحقيقة الإسلام، فوجدوهم قلوبًا أصْلَبَ عودًا من قناة الرماح، وأرهَف حَدًّا من أسِنَّةِ السّيوفِ.

وبقي **أولئك الأبطال سبع سنوات يعانون الأَسر والضّيق والجوع والعري، وقد أكلتهم الأوساخ وانْحَلَّتْ أجسامهم في ظُلمة السجون**، وهم صابرون على الضَنى، متوكّلون على الله، راسخون في إيمانهم، ثابتون في عزيمتهم. كانوا أبناء البيوتات الكبيرة، وأولاد التَرف والنِعَم، وكان بعضهم من أشراف البلاط ومن فرقة الحرس الملكي. لكنهم ذَكروا إلٰه آبائهم وأمّهاتِهم وقربان هياكلهم وكنائسهم المقدّسة، وذكروا إيمان نسائهم وأولادهم، فآثروا ذلك الموت المستطيل على أن يخونوا العهد الذي قطعوه مع **المسيح الملك** القائل: « فَكُلُّ مَنْ يَعْتَرِفُ بِي قُدَّامَ النَّاسِ أَعْتَرِفُ أَنَا أَيْضًا بِهِ قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (مت ١٠: ٣٢).

فلمَّا رأى العرب أن لا حيلة لهم مع أولئك الشجعان، صمّموا على قتلهم. فاخرجوهم إلى ضفاف نهر دجلة واستعرضوهم واحدًا واحدًا. ونادى عريفهم الضَّابط الذي كان يَراه متزعّمًا بينهم، وهو ثاوذورس كراتيروس، **وقال له: أنتَ كُنتَ كاهنًا وخلعتَ الثوب الرهباني، وذهبت وراء الدنيا وطلبت المجد في الجندية؛ فكيف لا ترضَى الآن بالعودة إلى المجد والحريّة وأطايب الحياة؟**

– فأجابه ثاوذورس: هو السبب الذي من أجله أُفَضِلُ الموت على الحياة. فإنّي بآلامي وموتي أُكَفِّرُ ذنوب حياتي. ما قولك في عبدٍ لكَ هرب من بيتك ثمّ عاد يجاهد ويموت في سبيلك، ألَا تَصفح عنه ؟

– **قالَ العريف: أصْفَحْ. فقال القائد: إذن يَصفح الله عني.**

فقال العريف: إنَّك تموت بهذا السّيفِ. وشَهَرَ سيفه، فَمَدَّ ثاوذورس عنقه، فرماه. وتقدَّم أولئك الشجعان واحد فواحد، فضَرَبَ العرب أعناقهم. ففازوا الفوز العظيم في تلك المعركة الأخيرة، وكانت أشدّ هولًا من كلّ ما لاقوه في ساحات الوغَى. فهناك كانت الأوطان والإخوان والبسالة والحماسة، والطبول والأبواق والأعلام، والرايات والأصوات تدفعهم فيستبسلون. أمَّا هنا فالشتيمة والذّل والأسر والضعف والغربة المريرة والعائلة البعيدة. لكن **إيمانهم كان حيًّا عظيمًا**، فَسَمَوْا بأنفسهم إلى الأعالي فانتصروا، وعادوا إلى الملك السماوي الأكبر مُكَلَّلين بغار الظَّفر. وكان ذلك سنة ٨٤٥م على عهد **الخليفة الواثق بالله بن المعتصم**.

وأما ذاك الخائن المدعوّ **بديزس** فقد لَقِي هو أيضًا حتفه. لأنّ الخليفة انتهره قائلًا: لو كنتَ أمينًا مثل أولئك لِرَبِّكَ، لما اقدَمتَ على فِعْلِكَ.فأَمَرَ به **فَضُرِبَت عُنُقُهُ**.

إنّ حادث استشهاد هؤلاء القوّاد الأبطال كتبه المؤرّخ أقوذيوس المعاصر لهم، وذكره غيره من الكَتَبَة البيزنطيين أمثال كذرينس ، زوناراس ويوحنا الككليتس ولاون وغيرهم. وكتب عنهم روربخر صاحب التاريخ الكنسي المُسهَب كتابةً بديعة بقلمه الشائِق.

بشفاعات شهدائك القديسين أيها الرب يسوع المسيح ارحمنا. آمين

الصّلاة، عبادة الله

تُحوّلُ الكآبة وتجعلُ منها فَرَحًا

للقدس برفيريوس الرائي

يحصلُ اليومَ مرّاتٍ كثيرةً بأنَّ الإنسان يشعُرُ بِشدّةٍ، بيأسٍ، بضعفٍ، بكسلٍ، بضجرٍ وبكلّ التّجارب الشيطانيّة. أن يكون الإنسان في ضيقٍ، في بكاءٍ، في اكتئابٍ، ألَّا يعطي أهميّةً لعائلتِهِ، أن يُبذِّرَ كومة من الأموال ثمنَ أدوية لمحلّلين نفسانيّين. يصف الناس هذه الحالات «**بعدم الاستقرار والأمان**». ديانتنا تؤمن بأنَّ هذه الحالات هي **تجاربُ شيطانيّة**.

الألم قوّةٌ نفسيّةٌ وضعها الله في داخلنا، بفعل الخير، **المحبَّة، الفرح، والصّلاة**. عكس ذلك، يصل الشيطان إلى هدفه فيتناول هذه القوّة النفسيّة من بطّارية نفسنا، ويستخدمها للشرّ، ..مسبّبًا لها كآبةً، حاملًا النفسَ على الكسل والضجر. يعذّب الإنسان، يعتقلُهُ ويمرضُهُ نفسيًّا.

يوجد سرٌ واحدٌ. **أن تحوّلوا الطاقة الشيطانيّة إلى طاقة خيّرة**. إنَّه صعب وبحاجةٍ إلى إستعدادٍ ما. **الاستعداد هو التّواضع**. وبالتّواضع تنتزعون النعمة الإلهيّة. أعطوا أنفسكم إلى محبّة الله، إلى عبادته، إلى الصّلاة. ولكن إن فعلتم هذا كلّه، دون أن تمتلكوا التّواضع، فما حقّقتم شيئًا.

كلّ الأحاسيس الشرّيرة، عدم الاستقرار، اليأس، الإحباط، التي تذهب للسّيطرة على النفس، **تختفي بالتّواضع**. **المتكبّر، الأناني** يرفض أن تقطع له إرادتَهُ، أن تفضَحَهُ وأن توجّه إليه الإرشادات. ينزعجُ، يُعصّبُ، يثورُ، ينفعلُ وتتسلّط عليه الكآبة.

هذه الحالة تُشفَى بالنعمةِ. على النّفس أن تغيّر اتّجاهها صوبَ محبّة الله. الشفاءُ سوف يصير بأن تحبَّ النفسُ الله بشغفٍ. كثيرون من قدّيسينا حوّلوا الكآبة إلى فرحٍ بالمحبّة تجاه المسيح. أي كانوا يتناولون هذه القوّة النفسيّة، يسلّمونَها إلى الله، ويبدّلونَها فرحًا وتهليلًا، في حين كان الشيطان يريدُ تدميرَها.

الصّلاة، عبادة الله، تُحوّل وتقْلِبُ الكآبةَ شيئًا فشيئًا إلى فرحٍ، لأنَّ نعمةَ الله تعملُ فِعْلَها. هنا أنتَ بحاجةٍ، أن تكون لك القوّة، لِتنتزِعَ نعمةَ الله التي ستساعدك على أن تتّحدَ به، ويُحتاج كذلك إلى فنّ. عندما تسلّم نفسك إلى الله وتصبحُ واحدًا معه، ستنسى الروح الشرّيرة التي كانت تشدُّكَ من الخلف، وبتجاهُلِكَ لها سترحل هذه الروح. ومن بعد، بقدرِ ما تتفرَّغ لروحِ الله، بقدرِ ما تتوقّف عن النظرِ إلى الخلف، لترى الروح التي كانت تشدُّك.

عندما تجذبُكَ النعمة، تتّحدُ مع الله. وعندما تتّحد مع الله وتسلّم نفسك إليه، ترحل كلّ الأشياء الأخرى، تنساها وتخلُص. الفنّ الكبير إذن، السرّ الكبير لتتحرّر من الكآبة وكلّ الأشياء السلبية، هو أن تسلّم نفسك **لمحبَّة الله**.

شيءٌ واحدٌ يقدرُ أن يساعدَ المكتئب هو العمل، الاهتمام للحياة. الحديقة، النّباتات، الأزهار، الأشجار، المَصِيف، السير والمشي في الهواء الطلق، هذه الأشياء كلّها ترفعُ الإنسان من الكسل وتخلقُ له إهتماماتٍ أخرى. تفعلُ وتؤثّرُ كالأدوية. الانشغال بالفنّ، بالموسيقى إلخ.....تعملُ عملًا جيّدًا.

أمّا إلى جانب ذلك، فأُعطي المعنى الأكبر للاهتمام بالكنيسة، لمطالعة الكتاب المقدّس، وللخِدَم الكنسيّة. مطالعًا ومتلقّنًا أقوالَ الله، يُشفى أحدٌ دون فهمِهِ السّبب.

لأقُصَّ عليكم قصّةَ فتاةٍ، أتت إليّ أنا الحقير(في الربّ). كانت تعاني من كآبة مخيفة. لم يُشفِها أيُّ دواءٍ، تركَتْ كلّ شيء. تركَتْ عملَها، بيتَها، وانشغالاتِها. أمّا أنا فقلت لها ما أعرِفُهُ. قلت لها عن محبَّة المسيح، التي تعتقلُ النَّفسَ، لأنَّ نعمةَ الله تملأُ النَّفسَ وتبدّلها.

أفهَمتُها أنَّ هذه القوّة هي **شيطانيّةٌ** تأخذ النَّفس وتحوّلُ قوَّتَها إلى كآبةٍ، ترميها إلى أسفل، تعذّبُها وتصيّرها غير مفيدة. نصحتها بأن تنشغلَ بإنشغالاتٍ عدّة، بالموسيقى مثلًا، التي كانت تُعْجبُها أولًا إلخ... لكنَّني رَكّزت أكثر على أن تُدير اتجاهها **ومحبَّتها نحو المسيح**. قلتُ لها أيضًا إنَّ **داخل كَنيستنا يوجَدُ عِلاجٌ وشِفاءٌ بالمحبَّة نحو الله وبالصلاة**، التي ستُقَامُ وتُتلَى بِشَغَفٍ وشوق.

من أقوال الحكماء

قَالَ لُقْمَانُ ٱلْحَكِيمِ لِابْنِهِ: لَا تَرْكَنْ إِلَى ٱلدُّنْيَا وَلَا تَشْغَلْ قَلْبَكَ بِهَا، فَإِنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ لَهَا. وَمَا خَلَقَ ٱللهُ خَلْقًا أَهْوَنَ عَلَيْهِ مِنْهَا فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ نَعِيمَهَا ثَوَابًا لِلْمُطِيعِينَ. وَلَا بَلَاءَهَا عُقُوبَةً لِلْعَاصِينَ. يَا بُنَيَّ لَا تَضْحَكْ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ. وَلَا تَمْشِ فِي غَيْرِ أَرَبٍ. وَلَا تَسْأَلْ عَمَّا لَا يَعْنِيكَ. يَا بُنَيَّ لَا تُضِعْ مَالَكَ وَتُصْلِحْ مَالَ غَيْرِكَ. فَإِنَّ مَالَكَ مَا قَدَّمْتَ. وَمَالَ غَيْرِكَ مَا تَرَكْتَ. يَا بُنَيَّ إِنَّهُ مَنْ يَرْحَمْ يُرْحَمْ. وَمَنْ يَصْمُتْ يَسْلَمْ. وَمَنْ يَقُلِ ٱلْخَيْرَ يَغْنَمْ. وَمَنْ يَقُلِ ٱلْبَاطِلَ يَأْثَمْ. وَمَنْ لَا يَمْلِكْ لِسَانَهُ يَنْدَمْ. يَا بُنَيَّ زَاحِمِ ٱلْعُلَمَاءَ بِرُكْبَتَيْكَ. وَأَنْصِتْ إِلَيْهِمْ بِأُذُنَيْكَ. فَإِنَّ ٱلْقَلْبَ يَحْيَا بِنُورِ ٱلْعُلَمَاءِ. كَمَا تَحْيَا ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيِّتَةُ بِمَطَرِ ٱلسَّمَاءِ.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي أسقف المدن الخمس

كنيسة القديس نكتاريوس
في جزيرة إيجينا في اليونان

الفصل الخامس

«الآن نفسي قد اضطربت. ماذا أقول، يا أبَتِ نجّني من هذه الساعة. لكن لأجل هذا بلغتُ إلى هذه الساعة» (يو١٢:٢٧) .

«أَفِي أنفسكم أن تلوموني على كلمات يأس فرطت مني في الهواء» (ايوب٦:٢٦).

ومع الوقت بدأ الجميع يفهمون شيئًا فشيئًا ما حدث، الرعايا والقطيع... وانتشر من حوله حزنٌ صامتٌ يضغط على الصدور. كان السؤال يتردد على جميع الشفاه: «كيف أمكن أن يقع البطريرك في هذا الفخ؟».

وكان جمعٌ كثيرٌ من الزوار من كل الأعمار والمستويات الاجتماعية، يتوافدون إلى الكنيسة وحتى إلى غرفته. فيطلبون رؤيته والتحدث إليه، ليعبّروا له عن محبّتهم، ولينصحوه بالصبر.

– «أنت يا صاحب السيادة، أنت الذي جَمَّلتَ كنائسنا بالأيقونات المقدّسة، أنتَ الذي اعترفت بوجود الفقر، ووزّعت على الفقراء كل ما كان لك، وما نطقتَ يومًا إلّا بلغة الملائكة، يطرحونك جانبًا؟»

وكان يردّ عليهم بقوله: «لا أهمية لذلك يا أحبائي، إنّها عاصفة وَسَتَمُرّ.»

وبعد مرور أقل من شهرين على وصول الشماس الذي حمل له المَلَف الأوّل، وصلته رسالتان لتحملا إليه الضربة القاضية. وكان في هذا الوقت القصير قد اكتسب بعض الخبرة، وعرف لحسن الحظّ انه يمرّ في تجربة.وصار قادرًا على تمييز السهام المسمومة التي يوجّهها العدوّ باتجاه مَن يريد أن يبقى أمينًا في النضال حتى النهاية.

قرأ الرسالتين ببرودة أعصاب، ومن دون حزن، بخلاف ما حدث في المرّة السابقة. وقد جاء في الأولى:

البلاغ الثاني

في بلاغ صَدَرَ بتاريخ ٣ أيار/مايو ١٨٩٠، أُقيلَ متروبوليت المدن الخمس، نكتاريوس كيفالاس، من مهامه في المكتب البطريركي في القاهرة، وكذلك من التمثيل البطريركي في الإدارة الإكليريكية. ومع ذلك فقد سُمِحَ له بالسكن بحرية، وبتناول الطعام في مقرّ البطريركية، وبإقامة الخِدَم الإلهيّة بدعوة من المؤمنين. غير أنه، وبسبب الحاجة إلى مديرٍ جديد للمكتب البطريركي، وبعد إيجاد الشخص المناسب، لم يَعُد هناك من حاجة لبقاء قداستكم في مصر. ونأتي بهذا القرار البطريركي لنتمنى لقداستكم ترك المقرّ البطريركي، والرحيل إلى حيثُ تشاء.

"وسوف تجدون بتصرفكم مع هذه الرسالة مبلغ ألف فرنك لتغطية مصاريف السفر. ومن جهة أخرى نُعلِم قَدَاستكم بأنه بعد إجراء الحسابات، وتسديد الأتعاب فإنّ المركز البطريركي لا يدين لكم بشيء بعد الآن"

الإسكندرية في ١١ تموز/يوليو ١٨٩٠

صفرونيوس بطريرك الإسكندرية

أما الرسالة الثانية فكانت تحوي على بلاغ الصَرف:

"أنا الحقير صفرونيوس، بطريرك الإسكندرية، أُعلن تنحية متروبوليت المدن الخمس من وظيفته. وبما أنّه عاجزٌ صحيًا عن احتمال مناخ مصر، فعليه أن يغادر البلاد. ويبقى باستطاعته أن يمارس مهماته الإكليريكية، حيث يذهب بشرط الحصول مُسبقًا على موافقة السلطات

الإكليريكية المحليّة. لهذا الغرض يمكن أن تفيد رسالة الصرف هذه الصادرة عن مقام البطريركية"

الإسكندرية في ١١ تموز/يوليو ١٨٩٠

صفرونيوس بطريرك الإسكندرية

قرأ نكتاريوس الرسالتين مرّات كثيرة، وبقي صامتًا. وَفَكَّرَ أن الماء تجري من الساقية إلى النهر، والنهر يصبّ في البحر... بالطبع لم تَكُن حسابات أتعابه صحيحة. فمنذ أن سيمَ مطرانًا لم يَتَلَقَ راتبه بصورةٍ منتظمة. وكان المسؤولون يعرفون هذا الأمر جيدًا. فكيفَ يَدَعُونَ هذه اليد النبيلة توقّع على هذه الكذبة ؟ ...

ثمّ نهضَ ورسم إشارة الصليب، ونظر إلى المصلوب بمحبّة. وبعد صمتٍ طويل تمتمت شفتاه أخيرًا:

" سيِّدي صفرونيوس، إنّي مستعدٌ لتلقي المزيد من ضَرباتك، حتى الموت. فأنا أحبّكَ دون حدود، وسأحبّكَ طالما حَيْيت، ولن أنسى. أبدًا أنكَ كنتَ إلى جانبي مثل أب وحارس ... وسأصلي لكَ ما دمتُ على قيد الحياة. الأمر ليس مهمًا. ليمنحك الله السعادة. ولتكن سنوك عديدة. أما بالنسبة إليَّ فلتكن مشيئة الربّ".

ثمّ نهضَ وانحنى قليلًا، وقرّر أن يدع تيار النهر يحمله، كقطعة من الخشب. غير أنه انفجر بالبكاء.

سنكسار: السبت من السِّبَّـةِ الأولى

السبت الذي قبل أحد الأُرثوذكسيّة

العجيبة الباهرة الصائرة بواسطة القمح المسلوق

من القديس المجيد في الشهداء تاودوروس التيروني

لمّا تقلَّدَ صولجانة المُلك **يوليانوس العاصي** بعد قسطنديوس بن قسطنطين الكبير، وانتقل من عبادة المسيح إلى **عبادة الأصنام** ثار اضطهاد عظيم على المسيحيين ظاهرًا وخفيًّا، فإذا كَلَّ هذا المُلْحِدُ من تعذيب المسيحيين بقساوة، وتجريبهم هكذا علانية بدون شفقة وانسانية، واخترى أيضًا ثم خَشِيَ لئلّا يزدادوا أكثر ممَّا هم، فارتأى هذا الغاشّ الفاقد البِرِّ أن ينجّسهم بصورة خفيَّة. فترقَّب **السِّبَّةَ الأولى من الصوم** التي فيها شعب المسيح يتنقّى ويتطهَّر بالأكثر، ويلتصق بالله واستدعى والي المدينة وأمره أن يرفع من الوسط جميع المبيعات المعتادة، ويضع في السوق غيرها، أعني أخبازًا ومشروبات بعد أن يمزجها أولًا بدماء ضحاياه، ويدنّسها من وقت عجينها لكي يبتاعوها في الصيام، فيتنجّسوا في حال التنقية بالأكثر. فالوالي أجرى حالًا **ما أُمِرَ به** ووضع في جميع السوق الأطعمة والمشروبات المنجّسة من الضحايا والأدناس. إلاَّ أنّ عين الله الناظرة الكل، والمبطّلة مكر الحكماء والمعتنية بنا دائمًا نحن عبيدهُ، حلَّت مبطلة اختراعات العاصي المخترعة علينا. لأنه أرسل مجاهدَهُ المعظَّم **ثاودوروس المدعو تيرونيًّا** من الرتبة التيرونيَّة إلى **افدوكسيوس رئيس كهنة المدينة** الذي على الأخصّ كان مُتَحَيِّرًا جدًا بذلك، فوقف به باليقظة لا بالمنام، وقال له انهض بسرعة، واجمع رعيَّة المسيح وأمرهم باحتراس ألّا يبتاع أحد منهم شيئًا من الأشياء الموضوعة في السوق، لأن الملك الملحد المتفاقم كفرهُ قد دنَّسها بدم الضحايا.

فتحيَّر رئيس الكهنة وسأله قائلًا: كيف يمكن أن يكون سهلًا للذين لا يوجد عندهم في البيوت ما يحتاجون إليه، ألّا يبتاعوا من الأطعمة الموضوعة في السوق؟ فأجابه القديس أعطهم سليقة وَسُدَّ عوزهم، فتحيَّر أيضًا وغبيَ عنه ما قال له وسأله. ما هي هذه السليقة فأجابه المعظَّم ثاودوروس هي القمح المسلوق، بحيث قد جرت العادة عندنا نحن الافخائطيين أن نسمّيه هكذا. فاستقصى منه البطريرك سائلًا إيّاه: مَن هو هذا المعتني بالشعب المسيحي؟ فقال له القديس هو **شاهد المسيح ثاودوروس** الذي أُرسل من قِبَلِه مُعينًا لكم. فنهض البطريرك حالًا، وأخبر الجمهور بما نظر وصنع بموجبه، فحفظ رعية المسيح غير مضرورة من مكر العدوّ العاصي وحِيَلِهِ. فلمَّا رأى ذاك أن ما أكمنه قد فُضح وغدا عديم الفعل، وانه خزي جدًّا أمرَ أن توضع ثانيًا في السوق المبيعات المعتادة، وأمّا الشعب المسيحي فلمَّا أُكْمِلَتْ ٱلسِّبَّةُ قدَّموا شكرًا للمحسن والشاهد. وبواسطة القمح المسلوق صنعوا تذكاره في مثل هذا السِّبَّةِ (الأسبوع) فرحين مسرورين. فمن ذلك الوقت إلى الآن نحدّد نحن المؤمنين ذكر العجيبة لئلّا يحصل منسيًّا من تلقاء تداول الأزمان هذا العمل العظيم الذي حدث من الشاهد ونكرّم ثاودوروس العظيم، بواسطة القمح المسلوق، ثم ان ثاودوروس العظيم قد استشهد من **فرينغاس الملحد** على عهد **مكسيمينوس** بعد أن عُذِّب أولًا وفيمَا بعد أحرق هيكل إله أولئك، وقسَّمَ ما كان فيه من الزينة على البائسين فحضر إليه بعض وخاطبوه، وأرادوا أن ينقلوا عزمه ونصحوه فلم يقبل منهم، فتأَلَّم كثيرًا ثم أُضرم له أتُّون عظيم، وزُجَّ فيه فسلَّم روحه لله في وسطه من دون أن يحترق جسمه فيه البتَّة.

فبشفاعاته اللهمَّ ارحمنا وخلّصنا. آمين.

الطروبارية على اللحن الثاني: ما أعظمَ مفاعيلَ الإيمان الباهرة، فإنَّ القديس الشهيدَ ثاوذورس كان مبتهجًا في ينبوع اللهيب كأنه على ماء الراحة. وإذ أُحرقَ بالنار قُدِّمَ للثالوث كخبزٍ لذيذ. فبتضرعاته، أيها المسيح الإله، خلِّصْ نفوسَنا.

الثواب والعقاب عند آباء الكنيسة العظام

الميتروبوليت إيروثيوس فلاخوس

من المهم أن نُلقي نظرة على تعليم الآباء القديسين عن **الفردوس والجحيم**، لأنهم معلمو الكنيسة عديمو الغش، وحاملو الفردوس الطاهر وبالتالي، لا يمكن تفسير الإنجيل بدون تعليمهم الموحى به من الله. بالإضافة إلى ذلك، فإن الكنيسة التي هي جسد **المسيح الإلهي البشري** تكتب الكتاب المقدس وتفسّره.

إن التعليم العام لآباء الكنيسة هو أن **الفردوس والجحيم** غير موجودَيْنِ من وجهة نظر الله ولكن من وجهة الإنسان. إنه أمر حقيقي أن الفردوس والجحيم موجودان كطريقتين للحياة، ولكن ليس الله هو الذي خلقهما. إنه أمر واضح في تقليد الآباء أنه يوجد طريقان، ولكن **الله ذاته** هو **الفردوس بالنسبة للقديسين**، وهو نفسه **الجحيم بالنسبة للخطأة**.

يرتبط هذا بشدة بتعليم الآباء عن مصالحة الإنسان مع الله. لا يوجد أي موضع في الكتاب المقدس يظهر تصالح الله مع الإنسان، ولكن أن المسيح صالح بين الإنسان والله. بالإضافة إلى ذلك يظهر في كل تقليد الآباء أن الله لم يقف ضد الإنسان قط، ولكن الإنسان هو الذي جعل نفسه مضادًا لله، بعدم شركته واشتراكه فيه. يصنع إذًا الإنسان من الله عدوًا له، ولكن الله لا يصنع من الإنسان عدوًا له أبدًا. يرى الإنسان الله، من خلال الخطايا التي يرتكبها، في صورة غاضبة عدائية. سوف نلقي نظرة على هذا الموضوع عندما نقدم باختصار تعليم آباء الكنيسة المعينين.

لنبدأ **بالقديس اسحق السرياني** الذي يتكلم عن ماهية **الفردوس**، وعن ماهية **الجحيم**. فهو إذ يتحدث عن الفردوس يقول أنه **محبة الله**، ومن الطبيعي أنه عندما نتحدث عن المحبة، فإننا نعني بصورة رئيسة قوى الله غير المخلوقة. إنه يكتب قائلًا: "الفردوس هو محبة الله حيث يوجد التمتع بكل البركات". ولكنه أيضًا إذ يتكلم عن **الجحيم** يقول نفس الشيء تقريبًا أن **الجحيم هو سوط المحبّة**. فيكتب قائلًا: "أؤكد أيضًا على أن أولئك المعاقبين في جهنم، يُضرَبون بسوط المحبة. وإلّا فما هو أكثر مرارة وشدّة من عذاب المحبّة؟".

الجحيم هو إذًا **عذاب محبة الله**. بالإضافة إلى ذلك وكما يقول القديس اسحق، فإن **الأسى** الحاصل في القلب بسبب **الخطيئة** ضد **محبة الله** "هو أكثر حدّة من أي خوف من العقاب". إنه عقاب حقيقي عندما نرفض ونعارض محبة آخر. فهو أمر مروّع أن نكون محبوبين، ونسلك بطريقة غير ملائمة. لو قارنا ذلك **بمحبة الله**، نستطيع أن نفهم **عذاب الجحيم**. وهذا مرتبط بما يقوله أيضًا القديس اسحق عن أنه أمر مؤلم للشخص أن يفكر أن "الخَطَأَةَ في جهنم محرومون من محبة الله".

بالتالي، حتى المعاقَبين سوف يتلقون محبة الله. فالله سيحب كل الناس الأبرار والخطأة، ولكنهم لن يشعروا جميعًا بهذا الحب على نفس العمق وبنفس الطريقة. على أية حال إنه أمر منافٍ للعقل بالنسبة لنا أن **نُصِرَّ** على أن **الجحيم هو غياب الله**.

تعني هذه الأمور أن خبرات الناس عن الله ستكون مختلفة. "سوف يعطي الرب كل واحد بحسب مقياس تميزه واستحقاقه"، "لأنه سيبطل هناك الفرق بين المعلم والمتعلم، وسوف يكون في كل واحد محبة الجميع الملتهبة". وهكذا سيكون هناك الله نفسه الذي يعطي نعمته للجميع، ولكن الناس سيتلقون هذه المحبة بحسب سعتهم. سوف تنزل محبة الله على كل الناس، ولكنها ستعمل بطريقة مزدوجة، وهي عقاب الخطأة وإعطاء الفرح للأبرار. يُعبِّر **القديس اسحق السرياني عن التقليد الأرثوذكسي** في هذا الموضوع قائلًا: "تعمل قوة المحبة بطريقتين: فهي تعذب الخطأة مثلما يحدث هنا عندما يتألم صديق من صديقه، ولكنها تصبح مصدرًا للفرح لأولئك الذين راعوا واجباتها".

هكذا سوف تنزل نفس محبة الله ونفس قواه على كل الناس، ولكنها ستعمل بطريقة مختلفة. ولكن كيف سيكون هذا الاختلاف؟

لقد قال الله لموسى النبي: «أتراءف على من أتراءف وأرحم من أرحم» (خر٣٣:١٩). يستشهد بولس الرسول بهذا النص من العهد القديم مستنتجًا: «فإذًا هو يرحم من يشاء ويقسّي من يشاء» (رو٩:١٨). ينبغي علينا تفسير ذلك **بمصطلحات أُرثوذكسيّة**. كيف يريد الله أن يرحم الواحد ويقسّي الآخر؟ هل عند الله محاباة؟

بحسب تفسير **ثيئوفيلاكتس** من بلغاريا فإن هذا يرتبط بطبيعة الإنسان وليس بعمل الله. يقول **القديس ثيئوفيلاكتس**: "تمامًا مثلما **تُلَيِّنُ** الشّمس الشّمع ولكنها **تُقَسّي** الطين ليس عن محاباة، ولكن بسبب اختلاف مادتي الشمع والطين. هكذا أيضًا الله الذي قيل عنه أنه قسّى قلب فرعون الطيني". إذًا نعمة الله، أي محبته، التي ستسطع على الكلّ سوف تعمل بحسب حالة الإنسان الروحانية.

ينضم **القديس باسيليوس الكبير** لهذا الرأي. فهو يفسر قول المزمور: «صوت الرب يقطع لُهُب نار»(مز٢٩:٧) قائلًا: أن هذه المعجزة حدثت مع الثلاثة فتية في أتون النار. كانت النار في هذه الحالة منقسمة إلى اثنين، بحيث أنها إذ كانت حارقة بالنسبة للذين هم خارجًا، كانت باردة بالنسبة للثلاثة فتية كما لو كانوا في ظل شجرة. إنه يعطي ملاحظة فيما يلي عن أن النار التي كانت معدة من الله لإبليس وملائكته "تُقطَع بصوت الله". للنار قوتان: قوةٌ **حارقةٌ** وقوةٌ **مُنيرةٌ**، وهذا ما يجعلها تحرق وتعطي ضوءًا. وهكذا يشعر المستحقون للنار بطبيعتها الحارقة، والمستحقون للنور بطبيعة النار المنيرة. وهكذا ينهي قوله بطريقة معبرة جدًا إذ يقول: "صوت الرب يقطع لهب نار وفي هذا القطع تكون نار الجحيم بلا نور، ونور السلام يبقى غير حارق".

ستكون إذًا **نار الجحيم مظلمة** إذ ستكون مجرَّدة من خاصية الإنارة، على حين **سيكون نور الأبرار غير حارق** بدون خاصية الإحراق، وسيكون ذلك نتيجة لقوى مختلفة لله. ومع هذا، فإن ذلك يوحي بأنه

بحسب حالة الشخص، فإنه سوف يتلقى أيضًا قوى الله غير المخلوقة.

هذا التفسير الخاص **بالفردوس والجحيم** هو ليس فقط خاص **بالقديس اسحق السرياني والقديس باسيليوس الكبير**، ولكنه **تعليم عام لآباء الكنيسة** الذين يفسرون بطريقة تجريدية ما قيل عن النار الأبدية والحياة الأبدية. عندما نتكلم عن التجريد لا نعني أن الآباء شَوَّهوا تعليم الكنيسة متكلمين تجريديًا وتأمليًا، ولكنهم إذ يفسرون تلك المواضيع يحاولون تخليصها من مئات الأفكار البشرية، ومن صور الأشياء الحسيّة. يستطيع المرء في هذه النقطة أيضًا أن يرى الاختلاف بين **الآباء الأرثوذكس الشرقيين والكاثوليك الغربيين** الذين اعتبروا هذه الحقائق مخلوقة.

هذه هي الطريقة التي يشرح بها **القديس غريغوريوس اللاهوتي** هو أيضًا هذه الحقيقة المهمة التي كما سوف نرى، لها معنى عظيم للحياة الكنسية والروحانية.

إنه ينصح سامعيه أن يقبلوا تعاليم الكنيسة عن قيامة الجسد والدينونة ومكافأة الأبرار. يجب استقبال هذه الأمور من منظور أن الحياة الآتية ستكون: ''نورًا بالنسبة لأصحاب الأذهان المطهرة'' وبالطبع ''بحسب درجة طهارتها'' ونسمي هذا ملكوت السموات. وهي ستكون **ظلمة "بالنسبة لأولئك الذين اظْلَمَ عضو التمييز لديهم"** التي هي في الواقع اغتراب عن الله ''وبحسب درجة عماهم''. الحياة الأبدية هي إذًا نور للذين طهَّروا نوسهم (وبكل تأكيد بحسب عمق هذا التطهير)، **وظلمة بالنسبة لأصحاب النوس الأعمى الذين لم يستنيروا بهذه الحياة ولم يصلوا للاستنارة والاتحاد بالله.**

إننا نستطيع أيضًا أن نُلقي نظرة على هذا الاختلاف من منظور الحقائق الحسيّة. إن نفس الشّمس ''تعطي ضوءًا للنظر السليم وليس للأعين المريضة''. ليس الخطأ هو خطأ الشمس، ولكن حالة العين. وهذا بعينه ما سيحدث عند **المجيء الثاني للمسيح**. المسيح واحد ''ولكنه يمثل عَثْرَةً وقيامة: عَثْرة لغير المؤمن، وقيامة للمؤمن''. كلمة الله واحدة وهي بآن واحد **"مرعبة بالنسبة للذين يستحقون ذلك بسبب طبيعتهم، وَرَحِبَةٍ بسعة بأولئك المستعدين"** في الوقت الحالي وأيضًا بالأكثر في وقت الدينونة. ليس إذًا الجميع مستحقين لنفس الرتبة والامتياز. ولكن الواحد يستحق رتبة، والآخر يستحق أخرى ''كل واحد بحسب تطهيره الشخصي كما أظن''. سوف يتذوق المرء قوى الله غير المخلوقة بحسب طهارة قلبه وعقله.

هكذا، وبحسب القديس غريغوريوس اللاهوتي أيضًا، فإن الله هو هو نفسه الفردوس والجحيم بالنسبة للإنسان، طالما أن كل شخص يتذوق قوى الله بحسب حالة روحه. وبالتالي فإنه يستطيع أن يهتف في واحدة من جمل ذوكصولوجياته (تماجيده) قائلًا: ''أيها الثالوث، الذي مُنِحْتُ أن أعبده وأسبحه، الذي سوف يصير معروفًا من الجميع في يوم ما، سَيُعْرَف للبعض من خلال الاستنارة، وللبعض الآخر من خلال العقاب''. إن الله هو نفسه كل من الاستنارة والجحيم للناس؛ فكلمات القديسين واضحة ومعلِنة.

أود أيضًا أن أذكر **القديس غريغوريوس بالاماس** رئيس أساقفة تسالونيكي الذي يؤكد على نفس التعليم.

إنه يقول عن كلمات **يوحنا السابق** عن **السّيد المسيح** أنه ''سيعمدكم بالروح القدس ونار'' أن هذه الكلمات تعني أن تعلن عن هذه الحقيقة أن الناس سيتلقون بدرجة نسبية خاصيّة النعمة، إمَّا العقابية أم المنيرة. لقد أوردها بهذه الطريقة: ''إنه يقول: إنه سوف يعمدكم بالروح القدس ونار بمعنى الاستنارة والعقاب بحسب استعداد كل واحد''.

من المؤكد أنه ينبغي علينا أن نلقي نظرة على تعليم القديس غريغوريوس بالاماس هذا في إطار المنظور اللاهوتي الشامل الخاص بنعمة الله غير المخلوقة. يعلِّم القديس أن كل الخليقة تشارك في نعمة الله غير المخلوقة، ولكن ليس بنفس الطريقة ولا بنفس العمق، وبالتالي فإن نصيب القديسين في نعمة الله يختلف عن نصيب باقي الخليقة. إنه يؤكد: ''لو أن الجميع يشاركون نفس الأمر، إلا أنهم لن يشاركوه بنفس الطريقة ولكن بطريقة مختلفة، حتى لو كان لكل شيء نصيب في كل أمور الله، إلا أننا نرى الفرق في نصيب القديسين في أنه كبير وعظيم''.

بالإضافة إلى ذلك، نحن نعلم من كل تعليم الكنيسة أن نعمة الله غير المخلوقة تأخذ أسماءً مختلفة بحسب تأثيرات عملها. فلو كانت تطهر الشخص فإنها تسمى مُطَهِّرة، ولو كانت تنيره تسمى مانحة الاستنارة، ولو كانت تجعله يتحد بالله تسمى مُؤَلِّهة. وبالمثل توصف في بعض الأحيان بأنها مانحة الوجود، وفي أحيان أخرى بأنها مُحْيِيَة، وبأنها معطية الحكمة. يشارك إذًا الجميع في نعمة الله غير المخلوقة، ولكن بطريقة مختلفة. وبالتالي لا ينبغي الخلط بين النعمة المؤلِّهة التي يشارك بها القديسون وبين قوى أخرى. ينطبق نفس الشيء على نعمة الله في الحياة الأبدية. **سوف يشارك الأبرار في قوى الله المنيرة والمؤلِّهة**، على حين أن **الخَطَأَة والنجسين سوف يختبرون قوى الله الحارقة والمعاقِبة.**

إننا نجد نفس هذا التعليم في الكتابات النُّسكيّة للعديد من القديسين. فعلى سبيل المثال، يقول **القديس يوحنا السلّمي** أن نفس النار تسمى كل من ''تلك التي تَحرق، وتلك التي تُنير''. فهو يتحدث عن النار المقدسة والسماوية التي هي نعمة الله. فنعمة الله التي يتلقاها الناس في هذه الحياة ''تحرق البعض لأنهم مازالوا ناقصين في التطهير''، وأما البعض الآخر ''فتنيرهم بدرجة تتناسب مع الكمال الذي حقّقوه''. وفي الواقع، لا تُطَهِّر نعمة الله الخطأة غير التائبين في الحياة الأبدية، ولكن ما يقوله **القديس يوحنا السلمي** ينطبق على الحياة الحاضرة. هذا مشهود له بالخبرة النسكيّة أن القديسين يشعرون في البداية بنعمة الله كأنها نار تحرق أهواءهم، وبعد ذلك، بعد أن تَتَطَهَّر قلوبهم، يشعرون بنعمة الله كأنها نور. ويؤكد الناس المعاصرون الذين يرون الله في زياراتهم النسكية للأماكن المقدسة، أنه بقدر ما يتوب المرء ويختبر الجحيم في النعمة، بقدر ما تتحول النعمة أيضًا إلى نور غير مخلوق، حتى لو لم يتوقع المرء ذلك. إنها نفس نعمة الله التي تطهر الإنسان في البداية، وعندما يصل لعمق كبير من التوبة والتطهير تُرى على أنها نور، وبالتالي ليست المسألة مجرد أشياء مخلوقة وحالات انفعالية بشرية، ولكنها اختبار **نعمة الله غير المخلوقة.**

رسالة حياة لِمَنْ يطلب الحياة

تَسليم الحياة للمسيح

الأب متى المسكين

إن الحياة التي وهبها لنا المسيح بقيامته من بين الأموات، هي حياة مُتَّصِلَةٌ وَمُتَّحِدَةٌ وَنَابِعَةٌ مِن **حياة المسيح القائم من بين الأموات**. فالمسيح لَمَّا تجسَّد، أخذ جسده البشري من العذراء القديسة مريم ومن الروح القدس، لذلك كان جسده مُقَدَّسًا: «القدوس المولود منك يدعى ابن الله» (لو١:٣٥)، بمعنى أنه وَلَدَ في العالم بشرية مقدسة جديدة حسب التدبير الأزلي: «لأننا نحن عمله **مخلوقون في المسيح يسوع** لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها» (أف ٢:١٠). إلى هنا ويكون بيننا وبين جسد المسيح هذا هُوَّةٌ، وهي القداسة الإلهية القائمة في الجسد البشري الجديد الذي أخذه من العذراء، ومن الروح القدس، ولكن المسيح عاد على الصليب وأخذ خطايانا في جسده على الخشبة:«الذي حمل هو نفسه خطايانا (كلها) في جسده على الخشبة» (١بط٢:٢٤) حتى قيل إنه: «جعل الذي لم يعرف خطيئة خطيئة لأجلنا» (٢كو ٥:٢١). وهذا يعني أنه لَبِس إنساننا العتيق على الصليب بكل معنى، وبكل خطاياه ونجاساته مُتَقَبِّلًا فيه حُكم الموت واللعنة الذي وقع على البشرية في **آدم**! فلما صُلِبَ المسيح صَلَبَ معه أو فيه الإنسان العتيق، ولما مات المسيح بسبب الخطايا التي حملها في جسده، مات فيه ومعه الإنسان العتيق الذي لَبِسَهُ أي البشرية الساقطة، بمعنى أنّها قَبِلَت وَنُفِّذَ فيها حكم الموت واللعنة اللذين سقطا على **آدم** وذريته. وبالتالي وحتمًا، وبعد سقوط الخطيئة من الجسد يكون الإنسان قد تبرَّأ من جميع خطاياه، ويكون قد **تخلَّص في المسيح** من العقاب الذي كان قد وقع عليه في **آدم**.

وهكذا بموت المسيح يكون الإنسان قد أخذ **حُكم براءة** عوض **حُكم الموت** عن كل خطاياه. بمعنى أن جميع الخطايا التي حملها المسيح في جسده على الصليب قد سقطت، وسقط معها حُكم الموت بقيامة المسيح من الموت بجسده حيًّا. وهكذا قام المسيح من بين الأموات بالجسد – أي البشرية التي حملها – بلا خطيئة ساقطًا عنها حُكم الموت، بمعنى أنّها قامت حيَّة مغفورة الخطايا ولن تموت بعد، لأن حُكم الموت نفسه سقط عنها، لذلك نقول إن البشرية قامت في المسيح جديدًا لحياة أبدية. وهذا هو الذي نقوله إننا متنا مع المسيح، وقمنا مع المسيح لحياة أبدية. ولكن لما قام المسيح من الموت، استعاد في جسده كل مخصصاته «**كابن الله**» التي كان قد أخلى نفسه منها، قام وفيه **مجده وقداسته وَبِرِّه الأبدي**. لذلك نقول إنه قام بمجدٍ عظيم، ونحن شاركناه أيضًا في مخصصاته هذه بالتبعية في بنوته لله **وفي مجده**: «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني» (يو١٧:٢٢)، **وقداسته**: «لأجلهم أُقَدِّس أنا ذاتي ليكونوا هم أيضًا مقدَّسين في الحق» (يو١٧:١٩). **وَبِرَّه الأبدي**: «ليكون بارًا ويبرر مَن هو من الإيمان بيسوع» (رو ٣:٢٦)، لأنه قام وهو متحد بنا بجسده، فأعطانا الذي له حتى ميراثه الأبدي في الله: «ورثة الله، ووارثون مع المسيح.» (رو ٨:١٧)

إذن، فالحياة التي نحياها الآن كمسيحيين هي **"حياة المسيح"** بكل مخصصاته مأخوذة ومستمدة منه ودائمة الاتصال به. وهذا معناه أن حياتنا التي نحياها الآن ليست حياتنا الخاصة، بل هي حياة متصلة بالَّذي أحيانا معه: «فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل٢:٢٠). وهنا واضح قول القديس بولس في هذا الأمر: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فِيَّ» (غل٢:٢٠)، أي حياة لا يمكن فصلها عن مصدرها ومنبعها وهو المسيح القائم من بين الأموات. هنا تبدو أهمية وخطورة قيامة المسيح من بين الأموات، ليس من جهة إيماننا وحسب، بل وحياتنا التي نحياها الآن بالجسد فهي **حياة القيامة**.

ومن هنا تظهر ضرورة بل وحتمية تسليم حياتنا للمسيح باعتبارها حياته، بمعنى تسليم الحق لصاحبه. أي نحن لا نتفضَّل بتسليم حياتنا للمسيح بل نعطيه الذي له. وواضح بالتالي أنه إذا لم نسلِّم حياتنا للمسيح نكون قد انفصلنا عن حياة المسيح، وهذا يعني أن الخطيئة بسلطانها وعقوبتها تعود تستَحوِذُ علينا فتختفي القيامة ويختفي المسيح من حياتنا.

تسليم الحياة للمسيح:

هذا هو أخطر المواقف التي يقفها الإنسان في حياته أن يختار بين أن يسلِّم حياته لله أم لا، فهو يكون محتارًا بين الحياة والموت! والآية التي تركها لنا العهد القديم ميراثًا أبديًا تقول: «قد جعلت قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة، فاختر الحياة لكي تحيا!» (تث ٣٠:١٩)

فلكي نختار الحياة يَتحتَّم أن نُسلِّم الحياة لصاحب الحياة لكي تُحفظ وتدوم فيه، وليؤمِّنها لنا ضد الهلاك ويدبِّرها ويقودنا فيها. والآية الضامنة والمحذِّرة لذلك تقول: «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا» (يو١٥:٥)، وقول المسيح:«أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو١٤:٦)، «أنا هو نور العالم» (يو٨:١٢)، «فسيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام.» (يو١٢:٣٥)

عهد تسليم الحياة للمسيح، زمانه ومكانه:

ليس تفضُلًا من الإنسان أن يقف أمام الله ويتعهَّد أن يسلِّم حياته لله، ولكن في الحقيقة يُعتبر مثل هذا العهد عقدًا من باطن عقدٍ، **لأن المسيح هو الذي تعهَّد أن يسلِّمنا حياته!!** فالحياة الجديدة التي نحياها الآن هي ممنوحة لنا بعهد إلهي: «هذه الكأس هي العهد الجديد **بدمي** الذي يُسفك عنكم (وعن كثيرين، يعطى لمغفرة الخطايا وحياة أبدية لِمن يتناول منه)»(لو٢٢: ٢٠). فدم المسيح الذي نؤمن به ونشربه هو **عهد المسيح بإعطاء حياته** لكل من يؤمن ويتناول. فكيف نتعهد أن نمنحه نحن ونسلِّمه حياتنا وهي ممنوحة وَمُسَلَّمَةٌ منه لنا أصلًا بعهد أبدي. ومعلوم أن أي عهد هو بين طرفين، فعهد المسيح بدمه هو عهد مُبْرَمٌ بينه وبين الخاطئ الذي آمن به، وجاء يطلب مغفرة وحياة جديدة بدمه.

إذن، فكل مرّة نؤمن ونشرب دم المسيح هو توثيق عهد أبدي بيننا وبين المسيح. في هذا العهد ينال الخاطئ مغفرة خطاياه في **دم المسيح مع حياة جديدة أبدية هي حياة المسيح**. لذلك فكل مرة نتقدم فيها إلى دم المسيح بإيمان صادق، يُحسب تعهدًا منَّا بتسليم الحياة التي أخذناها من المسيح لله.

إذن، يلزم للإنسان جدًا أن يصلي بلجاجة، وبصورة جادة وبدموع ومرات كثيرة، ولأيام كثيرة دون أن يملّ أو يهدأ طالبًا من المسيح أن يقبل حياته ويتسلَّمها، لأنه إما أن يتسلَّمها المسيح وإما أن يتسلَّمها العالم. فإذا تسلَّمها العالم، هيهات أن يحس بها الإنسان وهو يحيا موته.

إذن، فهذا هو مكان العهد وزمانه مع المسيح، في كل مرة نقف أمامه ليمنحنا حياته في دمه، نقبل عهده ونسلِّمه عهدنا. فالحياة التي أعطانا نسلِّمها له لتبقى مقدسة لنا وله إلى الأبد.

سرّ قوة الحياة التي نحياها الآن في المسيح:

قول بولس الرسول إنَّ: «ما أحياه الآن في الجسد، فإنما أحياه في **الإيمان** إيمان ابن الله» (غل٢: ٢٠)، يُوَضِّحُ قاعدة الحياة التي نحياها في الجسد الآن وهي "**الإيمان**". ويحدِّده القديس بولس أنه إيمان ابن الله نفسه. والمعنى هنا خطير، إذ يجعل أن الحياة الظاهرة في جسدنا الآن هي شكلية، أما جوهرها فهو المسيح نفسه الذي هو حياتي الحقيقية، هو غير منظور ولكنه موجود: « فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فِيَّ» (غل٢: ٢٠). إذن، ليست هي حياة جسدية ولو أنّها حياة في الجسد، **هي حياة إيمان** يربطني بالمسيح الذي أَسْتَمِدُّ منه الحياة وكل تدبيراتها، صحيح استخدم الجسد واستخدم كل ما يحتاجه الجسد وكل ما يتصل بالعالم، ولكن لا استمد حياتي من الجسد ولا مما يقيم أود الجسد، ولا من العالم الذي اعمل فيه. وبالتالي فإن ما اتكلمه الآن بخصوص المسيح والحياة، وإن كانت هي كلمات خارجة من الجسد، ولكنها صادرة من المسيح الذي يحيا فِيَّ. وبالتالي كل تصورات أفكاري الروحانية وإيماني ورجائي هي ليست من الجسد، بل من المسيح الذي يعمل فيَّ **بالروح القدس**.

وهكذا أيضًا، وبالتالي، كل أنشطة حياتنا وتصرفاتنا في العالم بين الناس، ينبغي أن تكون صادرة بالسِّر من المسيح، وليس من ذات الإنسان، فنضمن أنَّها تعمل لمجد الله وخلاص الآخرين. صحيح أننا نعمل بالجسد وبالحواس والغرائز والفكر كالباقين، ولكن الذي يسيطر على الأعمال ويدبِّرها ويقودها هو **المسيح** بالروح وليس **الجسد**. هنا إيحاءات المسيح واستعلاناته الخفية لفكر الإنسان تسري داخل الإنسان من خلال الإيمان والصلاة. وبدون الإيمان كحركة دائمة متحكمة في القلب والفكر، وبدون الصلاة كوسيلة اتصال، لا يستطيع المسيح أن يحل ويعمل فينا لتدبير الحياة.

الجسد يشتهي ما له، ولكن الروح الساكن فينا يشتهي ما للمسيح. هنا عملية رَدْعِ مُعَانٍ (بمعونةِ) بالروح ونعمة المسيح: «الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو٨: ١٤). والذي يجعل الانحياز للروح ثابتًا ودائمًا هو الإيمان والصلاة بدوام ويقظة بحرارة الروح وفرحة القلب.

كيف نسلِّم حياتنا للمسيح؟

سبق أن قلنا إن الحياة التي نحياها في الجسد هي حياة المسيح فينا نتيجة الإيمان بالمسيح. فأصبح تسليم الحياة للمسيح حقًا له لأنَّها مُستمدة منه بالإيمان. لذلك يكون تسليم حياتنا للمسيح هو بأن نتخلَّى نحن عن سيطرتنا على كل تدبيرات الحياة، ونقتنع بالسير خلف المسيح ووراء الروح القدس وتدخلات النعمة: «لأن الله هو العامل فيكم **أن تريدوا وأن تعملوا** من أجل المسرة» (في٢: ١٣). فبهذا الإيمان المسنود بالصلاة، تصبح إرادتنا نفسها هي نتيجة عمل الله فينا، وعملنا أيضًا الذي نعمله هو نتيجة عمل الله داخلنا، وإن

قصد الله الأساسي من عمله في إرادتنا وفي أعمالنا هو لحفظنا وإدخال السرور والسعادة في قلبنا، ونكون مؤهَّلين لعمل النعمة.

فتسليم الحياة لله هو بعينه **حياة عمل الله** فينا، والنتيجة هو

الفرح الدائم بالله والمسرة بعمله فينا. ولا يمكن أن يحصل الإنسان في حياته على فرح يوازي إحساسه أن الله يعمل فيه وبواسطته، إذ تبلغ النفس بهذا إلى تحقيق أقصى ما يمكن أن تبلغه من وجودها وحياتها على الأرض!!

كيف يعمل المسيح في حياتنا؟

حينما يبدأ المسيح يعمل في حياتنا يتعجب الإنسان، إذ يلاحظ أنه لا يعمل فينا من أجل أنفسنا وحسب، بل يعمل في حياتنا: إما لنكون قدوة، وإما لنبذل حياتنا من أجل الآخرين. فحين يرتاح روح الله فينا ويثق من طاعتنا وأمانتنا له، يبدأ يستخدمنا لخلاص وإسعاد حياة الآخرين لمجد اسمه، وتكون في هذا فرحة الإنسان وسعادته التي لا يمكن التعبير عنها، إذ يشعر الإنسان أن الله اختاره ليعمل به، وبهذا تصبح حياة الإنسان ذات قيمة سماوية وذات وزن عند الله. فحياة الإنسان التي كانت رخيصة في نظره، وربما ليست بذات قيمة روحانية يراها تصبح بعد أن سلمها لله ذات قيمة عند الله وذات نفع من أجل الآخرين، بمعنى أنَّها تكون قد أُضيفت لحساب رسالة المسيح لخلاص العالم. هكذا كانت حياة **شاول بولس**، وهكذا كانت حياة كل كارز وَمُبَشِّر بالإنجيل، بل حياة كل القديسين العِظام، وحياة كل المؤمنين بالمسيح في كل زمان ومكان: «أنتم نور العالم... أنتم ملح الأرض» (مت٥: ١٣و١٤). فحينما يسلم الإنسان حياته للمسيح مهما كانت خاملة وضعيفة، فهو يستخدمها لنفسه ليخلق منها عملًا نافعًا لحسابه. لذلك قيل عنه إنَّ: «فتيلة مدخنة لا يُطفئ» (مت ١٢: ٢٠)، لأنَّها إن سُلِّمَت ليديه يستطيع أن ينفخ فيها نارًا لتضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت، والأمثلة في ذلك تملأ صفحات التاريخ المقدس.

اختيار الله لنماذج الحياة التي يعمل فيها:

† «فانظروا دعوتكم، أيها الإخوة، أنْ ليس كثيرون حكماء حسب الجسد، ليس كثيرون أقوياء، ليس كثيرون شرفاء. بل اختار الله جُهَّال العالم ليُخزي الحكماء، واختار الله ضعفاء العالم ليُخزي الأقوياء، واختار الله أدنياء العالم والمُزْدَرى وَغَيرَ الموجود ليُبطل الموجود، لكي لا يفتخر كل ذي جسد أمامه.» (١كو١ :٢٦-٢٩)

هذا أمرٌ مشجعٌ للغايةِ لكل إنسان متضع. فهذه هي خطة الله من جهة محبته للخطأة، واختيار الضعفاء والمزدرى وغير الموجودين عند أنفسهم، هؤلاء عندما يسلِّمون حياتهم لله يستطيع أن يصنع منهم أعظم الخدام والكارزين والوعاظ في العالم ، علمًا بأن وراء كل خادم عظيم سيرة من الضعف والهوان يخجل منها كشاول المدعو بولس.

إذن، فالله يطلب الضعفاء عند أنفسهم الذين يزدرون بإمكانياتهم،

ولا يحسبون أنفسهم شيئًا، هؤلاء عندما يقدمون حياتهم يرتاح فيهم روحه القدوس وتفيض عليهم النعمة: «تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تُكْمَلُ.» (٢كو ١٢: ٩)

هذه الدعوة تجعلنا لا نتوانى في تسليم حياتنا لله مهما بلغنا من الضعف والهوان ليخلق منَّا شيئًا لمجده: «يُعطي المُعيي قدرة، ولعديم القوة يُكثِّر شدَّة. الغلمان يُعْيُونَ ويتعبونَ، والفتيان يتعثرون تعثرًا.وأما منتظرو الرب فيجدِّدون قوة، يرفعون أجنحة كالنسور، يركضون ولا يتعبون، يمشون ولا يُعيُون.» (إش٤٠: ٢٩-٣١)

عمل الله في الذين يسلِّمون حياتهم له:

– أول وأعظم عمل يعمله الله للإنسان الذي يسلم حياته له، هو أن يقربه لنفسه كعزيز عنده، ويشعر الإنسان بهذا الشعور جارفًا، وقد يعلن الله له ذلك، بل وحتى يمكن أن يظهر له. **لماذا؟؟** «والذي يحبني يحبه أبي وأنا أُحبه وأُظهِر له ذاتي» (يو١٤: ٢١)، لأن تسليم الحياة للمسيح تعتبر أعظم عمل محبة يمكن أن يقوم به الإنسان نحو المسيح كاعتراف بفضل موته على الصليب من أجلنا: «أحبني وأسلم نفسه لأجلي » (غل٢: ٢٠). وقرب الله من الإنسان يكون بمثابة شرارة تلهب قلب الإنسان، فتشعل نار الروح في حياة الإنسان، ليظل يهتف أنه ليس أهلًا لهذا الحب وهذه الثقة، ويبدأ الإنسان يقتنع اقتناعًا صارخًا بالدموع أن المسيح هو أهل حقًا أن يتسلَّم الحياة التي له.

– أما ثاني عملٍ هام يعمله المسيح مع الذي تقدَّم ليسلِّمه حياته، فهو أن المسيح يضع إصبعه بشدة على الأركان القذرة في حياة الإنسان، والمخالفات المميتة لوصاياه من جهة **البغضة والعداوة والكذب التي هي بمثابة الرواسب العفنة من صُنع الذات**. فهو بمجرد أن يضع إصبعه بشدة على **بؤرة الخطيئة**، يصرخ الإنسان ويتلوى لأنه يكون كنار تحرق في الضمير. وهذا هو الشفاء بكيِّ النار.

– وتبدأ حساسية الإنسان تزداد من وجود المسيح وفهم إشاراته من جهة الرضى والرفض لأعمال الإنسان وأفكاره، وقبول الإيحاءات بالقيام بأعمال جديدة، يطلبها منه المسيح لبناء حياته ونموّه ، وتوجيهات لخدمات يقوم بها لمجد المسيح والشهادة له.

– ويبدأ ينفتح وعي الإنسان ليدرك قدرة المسيح الهائلة في معرفة دقائق أفكار الإنسان وَنِيَّاته وأعماله، فتزداد قناعته بصورة جارفة أن يقدِّم للمسيح دقائق حياته، وخفايا قلبه بفرح لكي يُشْرِك المسيح في كل حياته وفي كل أعماله.

– وبقدر أمانة الإنسان في تقديم حياته، وعرض مشاكله وثقته في قدرة المسيح ثقة مطلقة، يزداد المسيح تدخلًا في الحياة، وتزداد سرعته في الاستجابة في الأوقات الحرجة التي يصرخ فيها الإنسان

طالبًا المعونة والتوجيه.

– وشيئًا فشيئًا، يتعلَّم الإنسان كيف يسير مع الله خطوة خطوة، ويفهم معاملات المسيح، لأنه ليس في كل وقت وكل حالة يتدخل المسيح، بل أحيانًا يتركه ليتصرف بمفرده، وبعد ذلك يحكم على العمل إن كان قد نجح فيه أو لم ينجح، ليدرِّب الإرادة والمشيئة على التصرُّف الإيجابي بحسب وصاياه في الإنجيل.

– وأحيانًا كثيرة لا يعطي المسيح مشورة، ولكن يكتفي بأن يلقي سلامه في القلب، ليُعلم الإنسان مباشرة برضى الله عن الموضوع لينطلق فيه بثقة الإيمان معتمدًا على الله.

– أما إذا توقفت المشورة وتوقف السلام في القلب فليحذر الإنسان الذي سلَّم حياته لله، فهنا لا ينبغي أن يعمل بل يطرح نفسه في الصلاة ساجدًا وبدموع، حتى يكشف له المسيح خطأه ليُصححه في الحال، ويتعهد بمزيد من الخضوع والأمانة. لأن الله لا يعمل إلَّا في الاتضاع والانسحاق الصادق، والإيمان الحار والثقة المطلقة مع الاستعداد للاستجابة السريعة.

– إذا قدَّم الإنسان اهتمامه بأمور العالم أو أمور الجسد والأقارب قبل اهتمامه بطاعة المسيح والاهتمام بعمله، فلا ينتظر أي استجابة من المسيح: «فقالت: حيٌّ هو الرب إلهك، إنه ليست عندي كعكة، ولكن ملء كف من الدقيق في الكوار وقليل من الزيت في الكوز، وهأنذا أقُشُّ عودَيْن لآتي وأعمله لي ولابني لنأكله ونموت. فقال لها إيليا: لا تخافي، ادخلي واعملي كقولك، ولكن اعملي لي منها كعكة صغيرة **أولًا** واخرجي بها إليَّ، واعملي لك ولابنك أخيرًا.» (١مل ١٧: ١٢و١٣)

هذا هو صوت الله: الله أولًا، والآخرين، وآخر الكل أنا.

وهكذا أمر الرب أنَّ نَصيبه أولًا، حتى ولو لم يكن موجودًا غيره! فهو الذي يستطيع أن يخلق من خمس خبزات ما يُشبع خمسة الآلاف. فمال الرب وخدمته ونصيبه وعمله ووصاياه أولًا، وإلَّا فلا نستحق الحياة التي نحياها.

– أحيانًا يبدو صوت الرب خافتًا، ولكن بمجرد البدء في العمل بسرعة يزداد وضوحًا.

– أحيانًا يتدخل العدو خِلسة بصوته المزيَّف، ولكن بشيء من التمييز نفحصه، فعلامته سلبية ولا تخرج عن: **لا تعمل لأنك مريض، لأنك ضعيف، لأن ماهيتك صغيرة. لا تذهب لأن الميعاد قد نفد، لا تتكلم لأنك غير موهوب، لا داعي اليوم لأنك مُرهق. لا تتكلم بالإنجيل لئلا يحسبوك متعصِّبا، إخْفِ اسم المسيح حتى تظهر أنك غير متعصِّب**. وهنا يتحتَّم رفع القلب بالصلاة وطلب المعونة، فيختفي الصوت المزيَّف ويقول المسيح مشورته بوضوح.

– بقدر ما يزداد الإنسان أمانة في التنفيذ مهما كلَّفه من جهد وتعب، بقدر ما يعمل المسيح أكثر ويُظهر صوته أوضح، وتعظم تدخلاته حتى إلى مستوى المعجزات.

– ليست كل تدخلات الله لمسرة الإنسان، فقد يكون فيها تحمل أتعاب وآلام وتضحيات. فحمل الصليب يدخل في صميم اختصاص اتِّباع الرب. ولكن يستحيل على المسيح أن يترك إنسانًا يحمل صليبه دون مزيد من العزاء والقوة، حتى يُخيَّل للإنسان أنَّها موهبة عُظمى أن **يتألم الإنسان من أجل المسيح**: « وُهِبَ لكم لأجل المسيح، لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضًا أن تتألموا لأجله.» (في ١: ٢٩)

– وأخيرًا، وبعد أن يكمل الإنسان مشوار حياته، ويتذكر إحسانات الله التي رافقته على مدى العمر، كيف نجَّاه الله من كل ضيقة، ويتذكر الرعاية والعناية وسهر المسيح على حفظ حياته؛ يذهب وفي قلبه وفمه تسبحة شكر تدوم إلى الأبد.

أَيَّـةَ نَـارٍ قَـدَحَ ٱلقَـادِحُ ... وأيَّ جِـدٍّ بَلَـغَ ٱلمَـازِحُ

لله دَرُّ ٱلشَّيْبِ مِنْ وَاعِـظٍ ... وَنَاصِحٍ لَوْ سَمِعَ النَّاصِحُ

يَأبَى ٱلفَتَى إلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلهَوَى ... وَمَنْهَجُ ٱلحَـقِّ لَـهُ وَاضِـحُ

فَٱسْمُ بِعَيْنَيْكَ إلَى نِسْوَةٍ ... مُهُورُهُنَّ ٱلعَمَلُ ٱلصَّـالِحُ

لا يَجْتَلِي ٱلعَذْرَاءَ مِنْ خِدْرِهَا ... إلَّا ٱمْـرُؤٌ مِيزَانُـهُ رَاجِـحُ

مَن ٱتَّقى ٱللهَ، فَذَاكَ ٱلَّذِي ... سِيقَ إلَيْهِ ٱلْمَتْجَرُ ٱلرَّابِـحُ

سُئِلَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ: أَيُّ ٱلْأُمُورِ أَشَدُّ تَأْيِيدًا لِلْعَقْلِ وَأَيُّهَا أَشَدُّ إِضْرَارًا بِهِ. فَقَالَ: أَشَدُّهَا تَأْيِيدًا لَهُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: مُشَاوَرَةُ ٱلْعُلَمَاءِ. وَتَجْرِبَةُ ٱلْأُمُورِ. وَحُسْنُ ٱلتَّثَبُّتِ. وَأَشَدُّهَا إِضْرَارًا بِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: ٱلْإِسْتِبْدَادُ. وَٱلتَّهَاوُنُ. وَٱلْعَجَلَةُ.

مختارات من تعاليم القديس أنطونيوس الكبير الروحانية ووصاياه المقدسة

الأقوال التالية مقتطعة من عدّة مقاطع وعظات، وأغلبها موجّهة إلى الرهبان وتبدأ بعبارة "يا بنيّ" وقد حُذفَت تخفيفًا للتكرار:

† قبل كل شيء لا تحسب نفسك شيئًا، فمن هنا يُولَدُ الاتضاع، والاتضاع يلد التعليم، والتعليم يلد الإيمان، والإيمان يلد الرجاء، والرجاء يلد المحبة، والمحبة تلد الطاعة، والطاعة تلد الثبات بلا مُنازع.

† لا ترغب في أن تُعرَفْ في شيء من أعمالك.

† احتسب مَنْ هو دونك في الفضيلة مختارًا ومساويًا لك في الفضيلة، ومَن هو مساويًا لك في الفضيلة مختارًا وأفضل منك.

† إذا صنعت أعمالًا فاضلة، فلا تفتخر وتقُل إني صنعتها، لأنك أن ظننت أنك صنعتها فلستَ بحكيم.

† لا تُزَكِّ نفسك عند الناس، بل كُن في ذاتك حكيمًا وديعًا طويل الروح كثير الأناة مجتهدًا مُحبًا للبشرِ.

† لا تمشِ مع المتكبرين، بل رافق المتواضعين.

† تَعَرَّ من الشَّرِّ والبس الوداعة.

† أطرح عنك العين الخبيثة واتخذ لك عينًا بسيطة.

† لا تتشبه بمن هو أضعف منك، بل بمن تراه مختارًا أكثر منك.

† لا تَخفْ من شتائم الناس. لا تَنُمَّ ولا تشتم أحدًا.

† ابْغضْ كل شيء قد تخسر فيه نفسك.

† لا تترك مشيئة الله وتصنع إرادة الناس.

† لا تحسد من يتقدم بالظلم، بل اجعل جميع الناس أعلى منك لكي يكون الله معك.

† لا ترجع إلى ورائك فيما ابتدأتَ به من الأعمال الصالحة.

† لا تَملّ من محبة الله.

† إصبر في كل ما تُريد أن تصنعه، فإذا صبرت يُعضدك الله في كل ما تُريد أن تصنعه الآن وفيما يأتي.

† إبغض الحديث الباطل في كل شيء لهذا العالم.

† إجعل اهتمامك عظيمًا بالفضيلة وهو الذي يُصَيِّرك يقظًا.

† فإذا عملت بذلك يا بني، فأنك ترث ما لم ترَه عينٌ، ولم تسمع به أُذنٌ ولم يخطر على قلب بَشَرٍ.

† لا تضجر من الأفكار التي تأتي عليك...، واعلم أن الرب لا ينسى شيئًا من أتعابك، وأن منها يكون لك النمو، ونعمة الله تعضدك.

† ليكن القوم الذين أحبوا الرب بكل قلوبهم وداوموا في العمل صورة لك ومثالًا، ولا تَسْتَحْيِ أن تطلب منهم (كلمة منفعة) لحياتك لأنهم قد تكلموا في الفضيلة.

† لا تتشبّه بالذين يداومون على الراحة في هذا العالم، لأنهم لا يتقدمون أبدًا، بل تشبّه بالذين عاشوا تائهين في الجبال والبراري من أجل الله، لكي تأتي إليك القوة من العُلا، ويطيب قلبك في كل شيء تصنعه بحسب مشيئة الله. لا ترجع إلى ورائك في شيء من هذه الوصايا الإلٰهية، والرب يسوع المسيح يريحك فتُكمِّل كل ما ابتدأتَ به من الأعمال الصالحة بسلامة، لأن آباءنا الكاملين ومَنْ ماثلهم بهذه قد كملوا.

† لا تُكثر الكلام الباطل فتُبعد روح الله منك.

† لا تتمسك بشيء من الشرّ، ولا تُدِنْ أحدًا.

† لا تكن مرائيًا ولا كذابًا.

† لا تتكلم بغضب بل ليكن كلامك بحكمة ومعرفة، وكذلك صمتك أيضًا، لأن آباءنا الحكماء كان كلامهم مملوءًا بالحكمة والتمييز، وكذلك صمتهم.

† لا ترفع صوتك، وإذا مضيت إلى أحد فليكن خوف الله في قلبك، واحفظ فمك من كلام الشرّ، فترجع إلى بيتك بسلام.

† ليكن لسانك تابعًا لعقلك، لأن الكلام بدون تعقُّل هو شوك وحسك.

† احزن مع أخيك وكن له شريكًا صالحًا.

† كن متواضعًا جميع أيام حياتك، وتمسَّك بكل شيء حسن.

† لا تسأل عن الأشياء الرديئة، بل اجعل طريقك بعيدًا عنها.

† أحبب الرحمة وتذرع بالإيمان.

† لا تجعل قلبك رديئًا يُفكّر في الشرّ، بل اجعله صالحًا، واطلب الصلاح واقْتَنِ غيرة في جميع الأعمال الحسنة.

† أحبب آباءك الروحانيين الذين يهتمون بك من أجل الله، أكثر من تعلّقك بآبائك الجسدانيين.

† أُذكر من يُكلّمك بالتعليم الصالح، واحفظ وصاياه فتحيا، ويطول عمرك في إرادة الرب، كما يقول الرسول: "ادرس في هذه الأمور وتشاغل بها لكي يكون تقدُّمك ظاهرًا لكل أحد" (أنظر ١ تي٤: ١٣ – ١٥)

† إذا شُتمْتَ لا تُبغِضْ شاتِمَكَ.

† لا تُنصت لكلام الشرّ، بل كن مُحبًا للناس فتحيا.

† لا تُجازِ شرًا بشرّ ولا الشتيمة بشتيمة، لأنه مكتوب: "إذا أنت لم تنتصر لنفسك فأنا أنتصر لك، قال الرب".

† لا تُبغض أحدًا من الناس، بل أَحْبِبِ الجميع كنفسك كما هو مكتوب "أحِبِّ قريبك كنفسك".

† أيها الأمين المُختار، ما دُمت كائنًا في الطاعة، فاعرف ما يُقال لك وتمسك به واعمل بمقتضاه. وإذا اجتمعت بالأمناء أمثالك فاختر لنفسك السماع واعرف ما يُقال، وذلك أفضل من الكلام.

† الرجل المحب للذّات غير صالح في الأعمال.

† إذا كنت بغير خطيئة فتكلّم باسم الرب، وعَلِّم الذين يُفترى على اسم الرب بسببهم، لأنهم موتى عند الرب، لكي يرجعوا عن أعمالهم وينالوا الكرامة منه.

† لتكن نفسك مع الله في كل وقت، وجسدك على الأرض كائنًا كالصورة والمثال.

† نفاق عظيم أن تُحزن إنسانًا وتترفع عليه.

† لا ينبغي أن تُعلِّم أحدًا شيئًا قبل أن تعمل به أولًا.

† فكّر في أعمال الله ولا تكسل، لأن صلاة الكسلان كلام باطل.

† اجتهد أن تبتعد عن الناس العادمي الرأي.

† عارٌ عليك أن تأمر غيرك بأوامر لم تُتَمِّمها في ذاتك، لأنك لا تنتفع بعمل غيرك.

† الرجل الحكيم يعرف طريق سلوكه فلا يُبادر بالكلام، بل يتأمل فيما يقول وما يفعل، أما الرجل القليل الأدب فلا يحفظ ما يُقال له من الأسرار.

† لا تُظهر كلمتك لمن لا يُقدّرها.

† إجعل سائر الناس أحباء لك لكن ليس كلهم مُشيرين.

† لا تجعل كل الناس أصدقاء، وإن صاروا لك أصدقاء فلا تأمن لهم كلهم، لأن العالم قد ثبت في المكر.

† لا تجعل لك أخًا إلّا مَن يخاف الرب، والتصق أنت بالله وحده مثل ابن مع أبيه، لأن الناس جميعًا يسلكون بالغش، ما خلا نُدرة منهم، والأرض قد امتلأت بالباطل والأتعاب والأحزان.

† إن كُنت تحبّ المعيشة في الهدوء فلا تختلط مع المهتمين بالباطل. وإن صرت في وسطٍ فيه اختلاط بكثيرين، فَكُن كَمَن ليس مختلطًا بهم إن كنت تُحب أن تُرضي الله.

† تعبَّد للمسيح وهو يُخلصك ويعتقك.

† العمل الجيد الذي تشتهي أن تعمله لا تتكلم به فقط بل كمّلْه بالفعل.

† لا تحب اللذات لأن كل من يحب اللذات لا يسمع له الرب.

† اذكر أن مناقصك قد كثرت جدًا وشبابك قد عبر، وقد جاء الأوان الذي تُفارق فيه (الجسد) وتُعطي جوابًا عن أعمالك، واعلم أن أخًا لن يفدي أخاه وأبًا لا يُخلِّص ولده.

† إفرح في الشدائد الآتية عليك لأن ثمرتها تتبعها.

† لا تستلذ بملذات العالم لئلا تموت موتًا رديئًا.

† اسرع وانتبه لئلا تضل وتكسل وتتوانى فتكون حقيرًا في الدهر الآتي، لأنه مكتوب: "الويل للمتوانين، فإن آخرتهم قد اقتربت وليس لهم مُعين ولا رجاء خلاص"

† مُت مع المسيح كل يوم لكي تحيا، لأن كل من يخاف الرب يحيا.

† لا تنسَ الأتعاب التي احتملتَها لأجل الفضيلة، فتتكاسل وتضل في الساعة الأخيرة، بل أحبب الرب إلى المنتهى فتنال الرحمة.

† لا تبتعد عن الله لأجل الزائلات، بل أذكر ما قررتَه في وقت حرارتك.

† أُذكر دموع التوبة وتلك الطلبات التي طُلبت عنك، واسرع وابتعد من الأفكار الخبيثة لئلا تضل علانية.

† حَمّ سريرك كل ليلة، وبلّ فراشك بدموعك، واتضع أمام المسيح لكي يمحو خطاياك، ويُجددك ويُعينك في الأعمال الصالحة، ويورثك ملكوته السرمدي.

† هذا الذي ينبغي له التسبيح والإكرام والتمجيد، والتقديس والسجود مع أبيه الصالح وروحه القدوس، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

الأرثوذكسيّة (٤٥)
قانون إيمان لكل العصور

الرسل الأطهار

قاعدة الإيمان

عَشْرَةُ الصَّلِيبِ

يقول **الكاتب الروسي الشهير دُستويفسكي** (١٨٢١-١٨٨١) في واحدة مِن أعماله وهو يتطلّع إلى أيقونة الصَّلب: ''أَمَا تَعلم أنَّ الإنسان قد يفقد إيمانه وهو ينظر إلى هذه الأيقونة؟'' **لا**، إنَّه لن يفقد إيمانه بل سوف يتقوَّى فيه إذا ما تأمَّل في المعنى الحقيقي للصَّلب، كما فعل **نيقولاوس برديف** وهو يكتب: ''إنَّ مُشكلة عدالة الله مقابل الألم غير المتناهي، الذي في العالَم كانت مصدَر عذاب غير محدود لي، لا يمكنني أن أعترف بأنَّ هناك أُلوهَة قادرة على كُلِّ شيء وكُلِّيّة العِلم، وهي أيضًا تأديبيّة عقابيّة، وهي تُلاحظ عالمنا هذا المجروح؛ ولكن يمكنني أن أُوافق وأن أفهم فقط صورة إله مُحبّ مُتألِّم مصلوب، يُمكن أن أقبَل فقط الله مِن خِلال ابنه''.

إنَّ إلهنا ليس مثل الآلهة التي على جبل أُليمبوس التي لا تُبالي بآلام الإنسان. إنَّ المسيح يُشاركنا آلامنا ليقهرها! لا نعجب إذن إن سَمعنا **القدّيس يوحنا الذهبي الفم** يقول: ''إنّي أدعوه مَلِكًا لأنّني أراهُ مصلوبًا''.

صُلِبَ فاتِحًا ذراعيه:

قال **القديس أثناسيوس** منذ ستة عشر قَرنًا: "**على الصليب فقط يمكن أن يموت الإنسان ويداه مُنبَسِطتان**". أيُّ دلالة عظيمة تكمن وراء هذه الأيدي المُمتَدَّة! فالله نفسه في شخص المسيح على الصليب، يمدّ يديه إلينا مناشدًا إيّانا التوبة والعودة إليه، مادًّا يده إلينا مانِحًا البَرَكة وغُفران خطايانا، داعيًا إيّانا إلى ملكوته.

يتأمّل راهب من الكنيسة الشرقيّة بخصوص يَدَيْ يسوع الممدودَتَيْن على الصليب فيقول: ''قَدَماكَ مُسَمَّرتان على الخشبة.. لا قُدرة لكَ على الهروب. أنتَ تنتظرني على موعد حدَّدته لي، وإذ ثُبِّتَّ على الصليب، فقد أعددتَ ذاتَكَ لهذا الانتظار. يُمكنني أنا عدم المجيء، أمّا أنتَ فستبقى هناك، حيث المكان الذي أعددتَه. يَداكَ ممدودتان، إنَّهما مفتوحتان تُناشدان كل أحد. لَنْ تُغلَقا ثانية، فالمسامير تُبقي عليهما في هذا الوضع الذي هو، وفي نفس الوقت دعوة وعِناق، وفي صمتٍ يومئان إليَّ: «**تعالَ**»''.

صُلِبَ وَتَأَلَّم وَقُبر:

عانى كل الآلام من أجلنا. يقول يسوع: ''كل هذا فعلته لأجلكم، وماذا أنتم سوفَ تعمَلون؟'' كيف نُكافِيء مِثل هذه الآلام ومِثل هذا الحبّ؟ يقول **الفيلسوف شيستيرتون**: ''مَن يَعِ قيمة الدَّيْن الكبير الذي يستحيل على الإنسان وفاؤه، فإنّه يظلّ إلى الأبد يدفعه؟'' إنّ ذبيحة الله على الصَّليب هي مِن هذا النوع مِن الدَّيْن، صنف لا يمكن أبدًا أن نُوْفِيَهُ، وسنظل إلى الأبد ندفعه كما فعَل القديس بولس الرسول، وكتبَ: « مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي.» (غل ٢: ٢٠).

هل يلزم أن يموت المسيح في كل عصر:

ذهب ولد صغير إلى الكنيسة لأوّل مرّة في حياته يوم الجمعة العظيمة. أَصغَى الولد جيِّدًا إلى قصة يسوع، كم أحبَّنا وكم تألَّم من أجلنا، كَم سامَحَنا ووهبنا الحياة الأبديّة. وفي نهاية الخدمة بدأ الناس في مُغادرة الكنيسة عائدين إلى منازلهم، أمّا الولد الصغير فلم يفهم لماذ يشعُر الناس المحيطون بهذا الهدوء تجاه هذا الحَدَث الجَلَل. إنَّهم يُغادرون الكنيسة كما لو أنَّ شيئًا لم يحدث. وبينما كان الفتى جالسًا في مكانه وهو يتنهَّد، قال له أبوه أخيرًا: ''**برون**، لا تحزن لهذه الدرجة، ولا تهتم بهذا الشَّكل لئَلَّا يظن النَّاس أَنَّكَ شخصٌ غريب''.

قد تكون هذه تمامًا هي المشكلة التي نُقابلها في قصَّة يسوع، وهي أنَّنا لا نشعر بهذا الحدث الجَلَل يكسر قلبنا، ونُغادر الكنيسة دون أن نتأثَّر مِن جَرَّاء ما فَعَلَهُ يسوع لأجلنا، الأمر الذي يجعلنا لا نستغرب مما قاله **ج. ب. شو** *G.B.Shaw* إذ كان على حَقٍّ عندما كَتَبَ: ''هل يجب أن يموت المسيح في هذا العذاب وفي كلّ عصر لِيُنقِذ أولئك عديمي الحِسّ؟''.

يقول ملاك الربّ ليهوشع في سفر زكريا: «وأزيل إثم تلك الأرض في يومٍ واحد» (زك٣:٩)، هذه النبوءة تَمَّت في يومٍ واحد. إنَّه يوم الجمعة العظيمة، أزال فيها الربّ إثم شعبه إلى الأبد. «وَلكِنِ الآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً بَعِيدِينَ، صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ. لأَنَّهُ هُوَ سَلاَمُنَا، الَّذِي جَعَلَ الاثْنَيْنِ وَاحِدًا، وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ» (أف ٢: ١٣و١٤). «إِنْ كَانَ اللهُ مَعَنَا، فَمَنْ عَلَيْنَا؟ الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟» (رو٨:٣٢و٣١).

العظات التماني عشرة لطالبي العمّاد

لأبينا القديس كيرللس رئيس أساقفة أورشليم

العظة الثانية عشرة في العمّاد

« ... تجسَّدَ وصارَ إنسانًا »

« ثمَّ عادَ الربُّ فكلَّمَ آحاز قائلاً :
أطلب لنفسك آية من عند الرَّب إلهك ..
فلذلك يؤتيكم السيّد نفسه آية :
ها إنَّ العذراء تحبل وتلد ابنًا يُدعَى عمانوئيل »
اشعياء : الأصحاح السابع

٣٠- الميلاد العذري لا يدعو الى العجب بقدرة الخَلق

لننظر عظمة هذا: إنه أمرٌ عجيب أن تولَد الأجسام من أجسام أخرى، وما هو أعجب من ذلك أن يُكَوَّن الإنسان من تراب الأرض. والعَجب كل العَجب أن تنشأ الأنسجة والأعين الرائعة من طين لا شكل له، وأن تنتج العظام الصُلبة والرئات الرقيقة، ومختلف الأعضاء الأخرى من التراب ذاته، وأن تسري في الأرض طينة حية مدفوعة بحركة تلقائية، فتبني وتعلّم وتتكلّم وتعمل وتملك. أيها اليهود الأغبياء، من أين أتى آدم؟ أليسَ الله الذي أخذ من تراب الأرض ورسم هذا الشكل العجيب؟ (تك٢:٧). إذا كان الطين تحوّل إلى عين، ألا تستطيع العذراء، أن تَلِد ابنًا؟ إذا كان المستحيل في حُكم البَشَر يتمّ، فلماذا لا يتم ما هو ممكن؟

٣١- من عذراء وُلِدَ خالق الأنفس والعذارى

فلنذكر هذه الأشياء، أيها الأخوة، ولنستخدم هذه الأسلحة الدفاعية. وعلينا ألّا نؤيِّد الهراطقة الذين يعلّمون أنّ المسيح جاء في الظاهر. وأن ندحض هؤلاء الذين يقولون إنّ المخلّص وُلِدَ من رجل وامرأة، من يوسف ومريم، لأنه مكتوب : «وأخذ امرأته» (متى ١:٢٤). ولكن فلنذكر أن يعقوب، قَبلَ أن يأخذ راحيل، قال للابان: «وأَعطِني امرأتي» (تك٢٩:٢١). وكما أن هذه، قَبل عقد الزواج، كانت تُدعَى امرأة يعقوب، بموجب الوعد وحده، كذلك مريم كانت تُسمَّى زوجة يوسف بسبب خطوبتها. ولاحظ دقّة الإنجيل الذي يقول: «وفي الشهر السّادس أَرسَل الله الملاكَ جبرائيل إلى مدينة في الجليل تُدعَى الناصرة، إلى عذراء مخطوبة لرجلٍ اسمه يوسف» (لو١:٢٧و٢٧). ثمّ لما جَرى الاكتتاب وصعد يوسف ليكتتب، ماذا يقول الكتاب؟ «وصعد يوسف من الجليل ... ليكتتب ومريم خطيبته، وكانت حاملًا» (لو٢:٤و٥). لأنها كانت حاملًا ؛ ولم يَقُل الإنجيل «زوجته» بل «تلك التي كانت مخطوبة له»، لأنّ «الله أرسَل ابنه، يقول بولس، مولودًا، لا من رَجُل وامرأة ، ولكن مولودًا لامرأة فقط» (غلا٤:٤). أي من عذراء. لأن من عذراء وُلِدَ خالق الأنفس والعذارى.

٣٢- شهر الميلاد العُذري

ولكنك تَعجب مما حدث: فالتي وَلَدَت تَعَجَّبت للأمر، إذ قالت لجبرائيل: «أنَّى يكونَ هٰذا وأنا لا أعرف رَجُلًا؟ فأجابها الملاك: إنّ الروح القُدس يحلّ بِكِ وقدرة العليّ تُظَلِّلُكِ ، لذلك يكون المولود قُدّوسًا وابن العليّ يُدعَى» (لو١:٣٤-٣٥). لقد كانت ولادة طاهرة وبلا دَنَس، لأنه حيث يحلّ الروح القدس كلّ دَنس يزول. ولادةُ ابن الله الوحيد بالجسد من عذراء ولادةٌ بلا دَنس. وحتى اذا عارَضَ الهراطقةُ الحقيقة، فإنّ الروح القدس يلومهم، وقدرة العليّ المظلّلة تغضب، وسيثور عليهم جبرائيل يوم الدين، ومكان المذود الذي تَقَبَّل الربّ سيفحمهم، والرعاة الذين بُشِّرُوا بالفَرح العظيم سيشهدون، وجيش الملائكة الذين سبّحوا وقالوا:«المجد لله في العُلى والسلام في الأرض لأهل رضاه» (لو٢:٢٤)، والهيكل الذي حُمِلَ إليه في اليوم الأربعين، وزوجا اليمام اللذان قُرِّبا مكانه، وسمعان الذي حمله على ذراعيه، وحنّة النبيّة التي حضرت في تلك الساعة.

داء الحرص

ٱلْحِرْصُ دَاءٌ قَدْ أَضَرَّ ... بِمَنْ تَرى إلاَّ قَليلا
كَمْ مِن عَزِيزٍ قَدْ رأيْـــتَ ... ٱلْحِرْصَ صَيَّرَهُ ذَلِيلا
فَتَجَنَّبِ ٱلشَّهَواتِ وَٱحْـــذَرْ ... أَنْ تَكُونَ لَهَا فَتِيلا
فَلَرُبَّ شَهْوَةِ سَاعَةٍ ... قَدْ أَوْرَثَتْ حُزْنًا طَوِيلا
إنْ كُنْتَ مُتَّخِذًا خَلِيلًا ... فَتَنَقَّ وَٱنْتَقِدِ ٱلْخَلِيلا
مَنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مُنْصِفًا ... فِي ٱلْوِدِّ فَٱبْغِ بِهِ بَدِيلا
وَعَلَيْكَ نَفْسَكَ فَٱرْعَهَا ... وَٱكْسَبْ لَهَا خُلُقًا جَمِيلا
وَٱلْمَرْءُ إنْ عَرَفَ ٱلْجَمِيلَ ... وَجَدْتَهُ يَبْـغِي ٱلْجَـمِيلا

ويقول بعض الشعراء: لا تَثِق بالمال

ثَلَاثَـةٌ يُجْـهَـلُ مِقْـدَارُهَـا ... أَلْأَمْنُ وَٱلصِّحة وَٱلْقُوتُ
فَلَا تَثِقْ بِٱلْمَالِ مِنْ غَيْرِهَا ... لَـوْ أَنَّـهُ دُرٌّ وَيَـاقُوتُ

العهد القديم في الكتاب المقدس (٨٧)

يهوياكين والسبي البابلي الثاني (٥٩٧ ق.م.)

(٢مل ٢٤: ٨–١٧ ، ٢أخ ٣٦:٩–١٠)

خَلَفَ يهوياكين أباه يهوياقيم على عرش يهوذا ولم تمضِ ثلاثة شهور فقط حتى سُبِيَ إلى بابل، وهي تُماثل نفس المدّة التي مَلَكَها يهوأحاز قبل سبيه إلى مصر، فيصفها حزقيال النبي أنها أشبه بِشِبلَي أسد حُبِسَا في قَفَصٍ (حز١٩:١–٩)، فقد زَحَفَ نبوخذنصّر سنة ٥٦٩ ق.م. على يهوذا ونَقَلَ معه يهوياكين أسيرًا إلى بابل مع عائلته وعبيده ورؤسائه، وجميع بنيه وكل جبابرة البأس عشرة آلاف ومعهم جميع الصُّناع حتى لم يبقَ في الأرضِ إلَّا المساكين من الفلاحين، وقد حمل معه خزائن بيت الربّ وكنوز قصر الملك، وكان حزقيال النبي بين المسبيين من رؤساء الأمة، واستوطنوا عند نهر خابور الذي يصبّ في الفرات، وعاش يهوياكين في بابل وكان يُعامَل معاملة كريمة من البابليين مع احترام وولاء رفقائه من المسبيين معه من يهوذا، وكان لليهود شيء من الحرية ووضعٌ حسنٌ، فقد اكتشفت بمخازن القَصر الملكي كتابة ترجع إلى ذلك الوقت، فيها قائمة بالمؤن والجرايات الغذائية من الشعير والزيت التي كانت تُوَزّع على الأسرى ومنهم اليهود. فَوُجِدَت أسماء يهودية ومن بينها اسم يهوياكين الذي أشارت إليه الوثيقة بكونه ملك بلاد اليهود، كما وُجِدَت أسماء أبنائه وفيها أن يهوياكين كانَ يُعامَل كَضَيفٍ في القَصر وليسَ كأسير، فكان يُعطَى طعامه من المخازن الملكية، وعاش يهوياكين في بابل ٣٧ سنة مُكَرَّمًا وهو نفس ما جاءَ في (٢مل ٢٥:٢٧) ومَلَكَ متتيا عمّه عِوَضًا عنه في أورشليم وتغيَّر اسمه إلى صدقيا.

وقد ظهر بين المسبيين أنبياء كَذَبَة يَعِدُون المسبيين بسرعة عودتهم، لكن كان النبيّان العظيمان أرميا وحزقيال يُنذِرانهم فكان أرميا يُرسل لهم رسائل من أورشليم وحزقيال في وسطهم بأرض السبي يشجعهم، وكتب لهم أرميا النبي يخبرهم أن السبي سوف يستمر سبعين سنة ابتداءً من نقلهم في السبي الأول، ويشير عليهم أن يبنوا لأنفسهم بيوتًا ويزرعوا بساتين (أر٢٩) ويظلّوا متمسّكين بعقيدتهم ويحفظوها وهم يعيشون في السبي الوثني (أر٢٤:٥) كما حَثَّ الشعب المتبقي معه في يهوذا أن يخضع لملك بابل، أما حزقيال النبي فإنّه رأى رؤياه عند نهر خابور في بابل وهي تُنبِيء عن إعادة بناء أورشليم ثانية وبناء الهيكل من جديد، وإن كان الشعب في بابل قد نال شيئًا من الحريّة، فلم يكن السبي قاسيًا ولكن الحنين إلى العودة والمشاعر الملتهبة بالأشواق نحو المدينة المقدسة كانت تجيش في نفوس الشعب. وهذا ما يُعبِّر عنه المزمور ال ١٣٦ الذي كُتِبَ في هذه الفترة وبدايته: «على أنهار بابل ...».

صدقيا (٥٩٧ – ٥٨٧ ق.م.)

(٢مل ٢٤،٢٥: ٧ ، ٢أخ ٣٦:١١–٢١)

صدقيا هو آخر ملوك يهوذا واسمه الحقيقي متتيا ومَلَكَ عِوَضَ عن ابن أخيه يهوياكين ومَلَكَ ١١ سنة، ورؤيا أرميا النبي عن سَلَّتَي التين كانت تعني أن التين الجيّد هو المسبيون إلى أرض الكلدانيين، والتين الرديء هو الملك صدقيا نفسه ومن معه في أورشليم (أر٢٤:٤ – ١٠).

فإنّ صدقيا لم ينهج طريق الله وانحرَف معه الشعب إلى العبادة الوثنية، ولم يُصغِ لتحذيرات النبي وألقاه في جُبٍّ (أر٣٧:١)، وتمادى في شَرِّه ونَجَسَ الهيكل بالعبادة الوثنية، وانحاز اليه حزبٌ كبيرٌ في الدولة وتحوّلت أورشليم إلى مركز للمؤامرات، واشترك معها أدوم وموآب وعمون وصور وصيدون، وذلك بتحريضٍ من مصرَ بعد أن تَوَلَّى بسماتيك الثاني (٥٩٤–٥٨٨ ق.م.) عرشَ مصرَ وبسبب رغبته الشدّيدة في التصدِّي للنفوذ البابلي، أخذ في تحريض هذه الدويلات التابعة للحُكم البابلي على التمرُّد والامتناع عن دفع الجزية، وإن كان صدقيا أظهَرَ أولًا ولاءه لبابل، لكنه تحوَّل إلى مصرَ مستندًا على وَعدٍ بالمساعدة، فشَقَّ عصا الطاعة وقد حثّه أرميا النبي على عدم الدخول في هذا التحالف، لكن صدقيا أعلن الثورة ضدّ بابل وقد نالت هذه الدول عقابها من نبوخذنصّر (أر٤٤:٣٠ ، ٤٦:١٣ ، ٤٨:١ ، حز٢٩:٨). وفي ربيع سنة ٥٨٩ ق.م. سارَ نبوخذنصَّر بجيشه حاملًا المعدات الضخمة من السلالم والدبابات وأحدث المبتكرات لاقتحام الأسوار من المنجنيق الضَّارب (حز٤:٢)، وجعل نبوخذنصَّر قاعدته في ربله على نهر الفرات في سوريا وأَوْكَلَ لقائده نبوزرادان مهمة محاصرة أورشليم، وخطّط نبوخذنصَّر لضرب وتدمير المنطقة المحيطة بأورشليم قبل الحصار، فضَرَبَ كُلًا من دبير وبيت شيمش وبيت هكاريم ولخيش ليضمن قَطع أي اتصالٍ مع مصرَ وعدم وصول الامدادات العسكريّة وأمام تدفق الحليف المصري... (إر٣٧:٥). وقد أشار أرميا النبي على صدقيا بتسليم المدينة قبل أن تُحاصَر ولم يستجب له، فحوصرت أورشليم وظلّت محاصرة ١٨ شهرًا حتى أرهقها الحصار وفُتحَت فيها الثغرات ودخلها الجيش البابلي منتصرًا في سنة ٥٨٧ ق.م. وحاول صدقيا الهرب شَرْقًا نحو الأردن لكن جيش بابل أدركه في سهول أريحا وأَسَرَهُ وأُخِذَ إلى ربله وحُوكِمَ هناك وَقُتِلَ أبناؤه أمامه، واقتلعت عيناه ورُبِطَ بسلاسل نحاس وَسِيقَ إلى بابل وظَلَّ أسيرًا فيها حتى موته (أر٥٢:١١). وفي هذا الهجوم دُمِّرَت أورشليم تمامًا، وخربت وأُحْرِقَ الهيكل ونُقِلَتْ كنوز الهيكل إلى بابل وَسُبِيَ بقية الشعب وَتُرِكَت فئة ضئيلة يعملون مزارعين للأرض، ورَفَضَ أرميا الحياة الآمنة في بابل مُفَضِّلًا أن يقيم بين خرائب الأرض التي أحبّها وارتبط بها، وصارت أورشليم عاصمة يهوذا وذات الذكريات المجيدة خَرِبَةً، ولم يَعُد لها وجود إلَّا في قلوب قليلٍ من الأمناء الذين طال بهم السبي إلى سبعين سنة، لكن قلوبهم كانت تتطلّع في شوقٍ ولهفة للعودة إليها (دا٦:١٠).